نزهة الناظرين
في صفات العلماء الربانيين

تقديم

فضيلة الشيخ العلامة

حسين بن عودة العوايشة

-حفظه الله-

إعداد

عبدالملك بسفورت بن ظافر الماجوني الكوسوفي

-كان الله له-

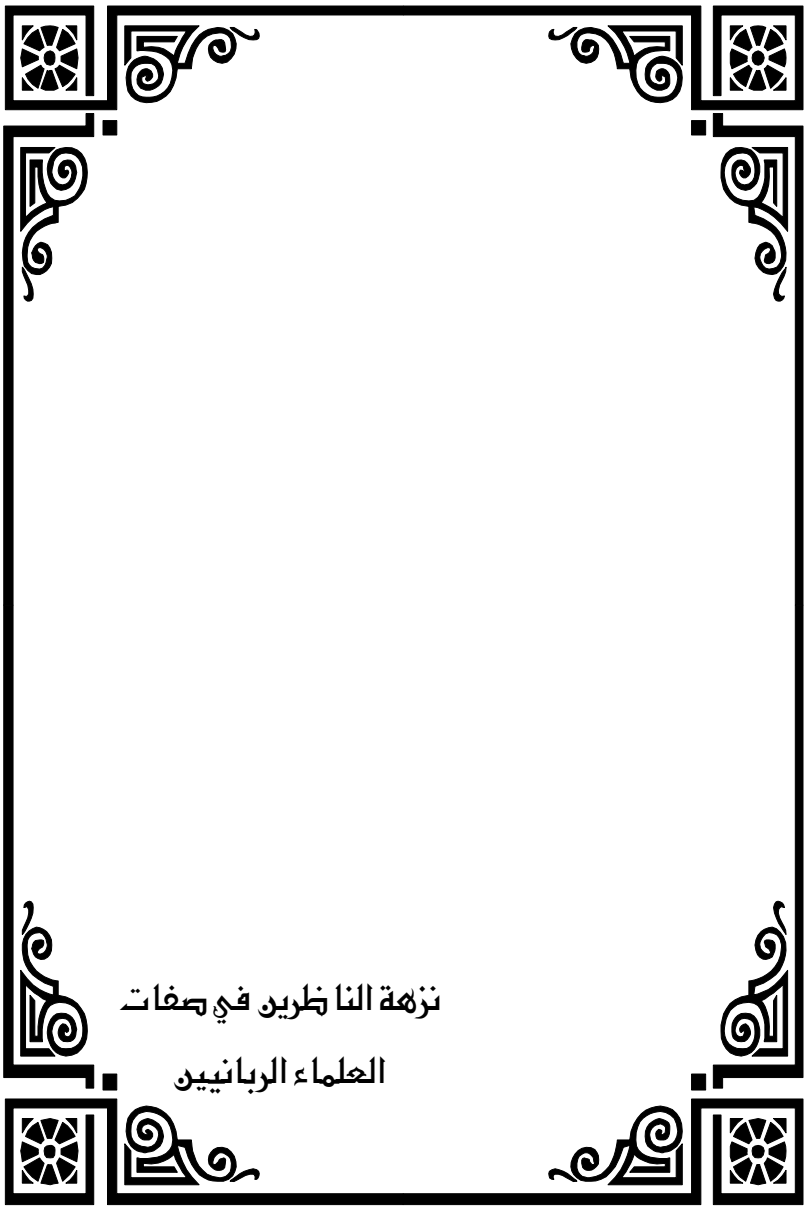

نزهة الناظرين في صفات العلماء الربانيين

www.alukah.net

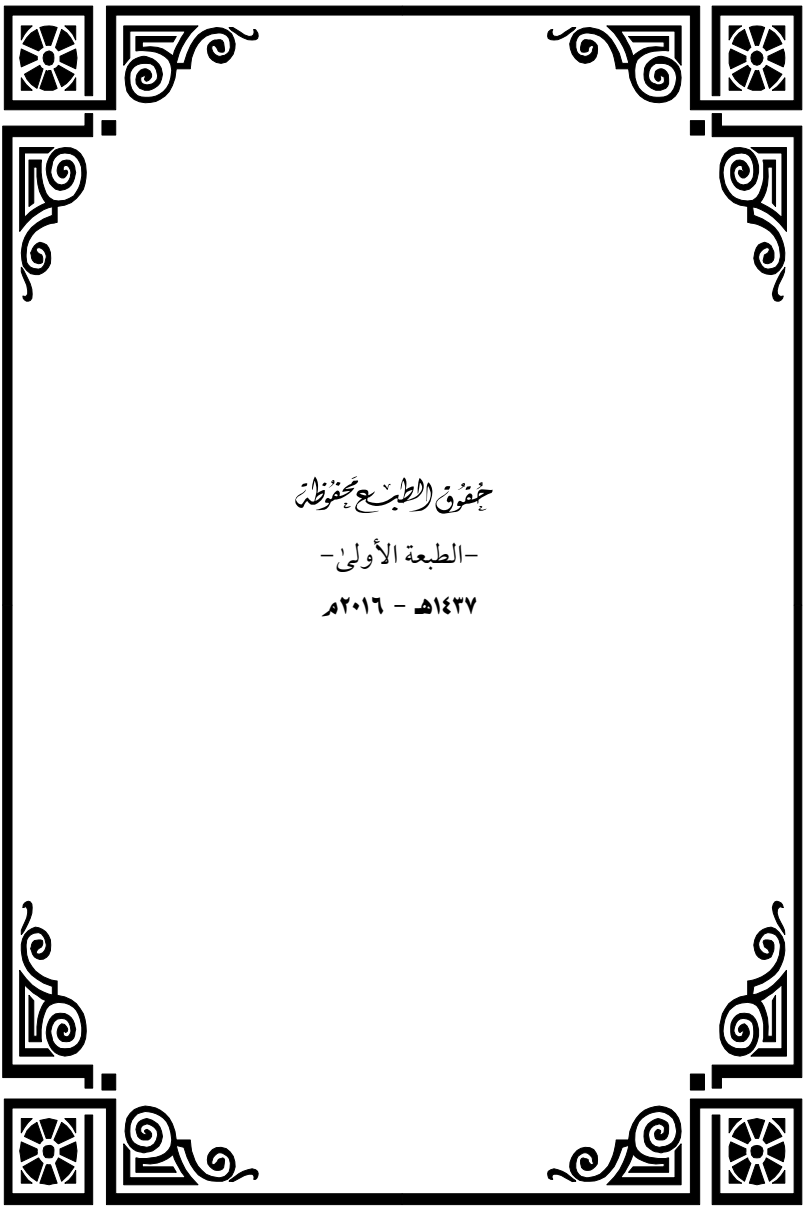

حقوق الطبع محفوظة

-الطبعة الأولى-

١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نزهة الناظرين

في صفات العلماء الربانيين

تقديم فضيلة الشيخ

حسين بن عودة العوايشة

- حفظه الله -

إعداد

عبد الملك بسفورت بن ظافر الماجوني الكوسوفي

- كان الله له -

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقديم

فضيلة الشيخ / حسين بن عودة العوايشة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسلامُ علىٰ سيِّد المُرسَلِين، وعلىٰ آلِه وصحبِه أجمعِين.

لقد نظرتُ نظرةً مُجملَةً، وتصفَّحتُ علىٰ وجه السُّرعة كتاب مبحث أخي الدُّكتور/ عبد الملك بن ظافر الماجوني الكوسوفي -حفظه اللهُ- بعُنوان: «**نُزهة الناظرين في صفات العلماء الربانيِّين**»، فألفيتُه نافعًا مُفيدًا.

أسألُ اللهَ -تعالىٰ- أنْ ينفعَ به، ويتقبَّلَ منهُ، إنَّه سميعُ الدُّعاء.

وصلَّىٰ اللهُ علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وعلىٰ آلِه وصحبِهِ وسلّم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إِنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِن شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ الله؛ فَلا مُضِلَّ لَه، وَمَنْ يُضْلِلْ؛ فَلاَ هَادِيَ لَه.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ الله -وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَه-.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾.

أما بعد:

فَإِنَّ أَصْدَقَ الحَدِيثِ كِتابُ الله، وَأَحْسَنَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ،

www.alukah.net

وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثاتُها، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَة، وَكُلَّ ضَلالَةٍ فِي النَّار.

فلا شكَّ أنَّ لِلعُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّين فِي الإسلامِ مَكانَةً عَظيمةً حَفِظَهَا لهم الشَّرْعُ المُطَهَّرُ؛ لِعِظَمِ قَدْرِهِم في الأُمَّة، فَطاعَتُهم طاعَةٌ لِلهِ -عزَّ وجَلَّ-، وَطَاعَةٌ لِرسولِ اللهِ ﷺ، فَالتِزَامُ أمْرِهِم وَاجِبٌ.قال -تَعَالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء:٥٩].

قال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يعني: أهل الفِقهِ والدين، وأهل اللهِ الذين يُعلِّمون الناس معاني دينِهِم، ويَأْمُرُونَهُم بالمعروف ويَنْهَوْنَهُم عن الُمنْكَر، فأوجب اللهُ طَاعَتَهُم علىٰ عِبَادِه»[(١)].

ومَرَدُّ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ إلىٰ طاعةِ العُلماءِ، وَمَرَدُّ طاعةِ العلماءِ إلىٰ طاعة الله -سبحانه- وطاعةِ رَسُولِ الله ﷺ .

(١) «تفسير الطبري» (٥/ ٩٤١) بتحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط-الأولىٰ: ١٤٢٤هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأَدِلَّةُ بَيانِ مَنْزِلَتِهِم فِي الشَّرِيعة كَثِيرَةٌ؛ مِن بَيْنِها:

١- إِشْهَادُهُ -سبحانه- لَهُم علىٰ أَعْظَمِ مَشْهُودٍ، وَهُو التَّوحِيد:

قال - تَعالىٰ -: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨] .

قال الإِمامُ ابنُ القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ-: «وفي ضِمْنِ هذه الشَّهادةِ الإلهيَّةِ: الثَّنَاءُ علىٰ أهلِ العلمِ الشَّاهِدِين بِها وتَعدِيلهِم»(١).

قال الإمام القُرطُبِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ-: «في هذه الآيةِ دليلٌ علىٰ فَضْلِ العلم، وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لَقَرَنَهُمُ اللهُ بِاسمِهِ، واسمِ ملائِكَتِه كَما قَرَنَ العُلماء»(٢).

---

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم(٣/ ٤٧٣) بتحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط-الثانية:١٣٩٣هـ.

(٢) «تفسير القرطبي» (٤/ ٤١) دار الكتب المصرية - القاهرة، ط-الثانية: ١٣٨٤هـ.

www.alukah.net

قال العلاَّمةُ عبد الرحمن السِّعْدي[١]: «وفِي هَذه الآية فضيلة العِلْمِ والعُلماءِ؛ لأن الله خصَّهم بالذكر مِن دونِ البَشَرِ، وقَرن شهادتهم بشهادتِهِ وشهادةِ مَلائكتِهِ، وجعل شهادتَهُم مِن أكبرِ الأدلة والبَرَاهِينِ عَلىٰ توحِيدِهِ، ودِينِهِ، وجَزائِه، وأنَّهُ يَجبُ علىٰ المُكلّفين قبولُ هذه الشهادةِ العادلةِ الصادِقَة، وفي ضْمْنِ ذلك: تَعْدِيلُهم، وأنَّ الخَلْقَ تَبَعٌ لهم، وأنهم هُم الأئمَّةُ المُتَّبَعُون، وفي هذا من الفضلِ والشَّرفِ وعُلُوِّ المكانةِ ما لا يُعادِل قدره».

٢ - عَدَمُ التَّسْوِيَةُ بَيْن العُلماءِ وغَيْرِهم:

قال الله - تعالىٰ -: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[الزُّمَر:٩].

قال الطَّبَرِي -رَحِمَهُ اللهُ-: «يَرفَعُ اللهُ الذين أُوتوا العِلمَ مِن أهلِ الإيمانِ علىٰ المُؤمِنين الذينَ لَمْ يُؤْتُوا العِلْمَ بِفَضْلِ عِلْمِهِم دَرَجَاتٍ؛ إذْ عَلِمُوا بما أمروا»[٢].

(١) «تيسير الكريم الرحمن» (ص١٠٨) دار ابن حزم، ط- الأولىٰ: ١٤٢٤هـ.

(٢) «تفسير الطبري» (٨/ ١٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٣- أوجب الله -سبحانه وتعالىٰ- الرجوع إليهم وسؤالهم عما أشكل:

قال الله - تعالىٰ -:﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنبياء:٧].

قال الشاطبي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ذلِكَ أنَّ السائِلَ لا يَصِحُّ أنْ يَسْألَ مَنْ لا يُعتبَر في الشريعةِ جَوابُه؛ لِأَنَّهُ إسنادٌ لأَمْرٍ إلىٰ غَيْرِ أَهْلِه، والإجماعُ علىٰ عَدَمِ صِحَّةِ مِثل هذا، بَلْ لا يُمْكِنُ في الوَاقعِ؛ لِأنَّ السائِلَ يَقولُ لِمَنْ ليس بأهلٍ لِمَا سُئِل عنه: أَخْبِرْنِي عَمَّا لا تَدْرِي، وأنا أُسْنِدُ أَمْرِي لَكَ فيما نُحْنُ بالجَهْلِ بِهِ علىٰ سَوَاء، ومثل هذا لا يَدْخُلُ في زُمْرَةِ العُقلاءِ»[(١)].

فالعلماء إذًا هُم الوَسِيلةُ والطريقُ لِتَبْيِينِ الأَحكام، فَهذَا العِلمُ يَتَوَارَثُهُ أَهْلُه فيأخذُه الخلَفُ عَنِ السَّلَفِ بالتَّلَقِّي، وهؤلاءِ العُلماء يُبَيِّنُون أحكامَ اللهِ - عز وجل - للناسِ.

(١) «الموافقات» (٥/ ٢٨٥) بتحقيق الشيخ مشهور حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط-الأولىٰ:١٤١٧هـ.

www.alukah.net

٤- أَنَّهُم أَهْلُ الفَهْمِ عَن اللهِ -عزَّ وجَلَّ-:

قال الله - تعالىٰ-: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[العنكبوت:٤٣].

فخواصُّ الأَدلةِ، وهي الأمثالُ، تُضْرَبُ للناس كُلِّهم، ولكِنْ تَعَقُّلُها وفِقْهُهَا خاصٌّ بأهلِ العلمِ.

قال ابن كثير -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وما يَفْهَمُها ويَتَدبَّرُها إلا الرَّاسِخُون في العِلم الْمُتَضَلّعون»[(١)].

٥- أَنَّهُم أَهْلُ الخَشْيَة:

يقول الله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾[فاطر:٢٨].

قال ابْنُ كَثِيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «أي: إنَّما يخشاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ العُلماءُ العَارِفون بِه، لِأَنَّهُ كلُّما كانت المعرفةُ للعظيمِ القَدِيمِ العَلِيمِ المَوْصُوفِ بِصفاتِ الكَمالِ المَنْعُوتِ بالأسماءِ الحُسنىٰ؛ كلما كانت

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٢٧٩) بتحقيق سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط-الثانية:١٤٢٠هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المعرفةُ بِه أتمَّ، والعِلمُ بِه أكْملُ، كانت الخشيةُ لَهُ أَعْظمُ وأَكْثَرُ»(١).

يقول السِّعْدي-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «فَكُلُّ مَن كان بالله أعْلمُ كَان أَكْثَرَ لَهُ خَشْيَةً، وَأوجَبَتْ له خشيةُ اللهِ الانكفافَ عن المَعَاصِي، والاستعدادَ لِلقاءِ مَن يَخشاهُ، وهذا دليلٌ علىٰ فضيلةِ العلمِ، فإنه داعٍ إلىٰ خشيةِ اللهِ»(٢).

٦- أنَّهم وَرَثَةُ الأنبياءِ وَهُم المُفَضَّلُون بَعْدَ الأَنْبياءِ عَلَىٰ سائِرِ البَشَر:

عن أبي الدَّرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سَمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العابِدِ كَفضْلِ القَمَر لَيْلَةَ البَدْرِ عَلَىٰ سائِرِ الكَوَاكِبِ، وإنّ العلماءَ وَرَثةُ الأنبياءِ، وإنَّ الأنبياءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينارًا ولا دِرْهمًا، ولكنّهُم وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أخَذَهُ أخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٣).

وإذا كان العلمُ الذي أوحىٰ اللهُ به إلىٰ الأنبياءِ قد ورّثَهُ العلماءُ،

(١) المصدر السابق(٦/ ٥٤٤).

(٢) «تيسير الكريم الرحمن» (ص٦٥٦).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٩٦)، وأبو داود (٣٦٤٣)، والترمذي (٢٦٨٥) وغيرهم بإسناد صحيح.

www.alukah.net

فإنّ العلماء أيضًا ورّثوا شيئًا من الاعتبار الشرعي للأنبياء، فالأنبياء مُبلِّغُون عن الله، والعلماء مُبَلِّغون عن الأنبياء، فلهم منزلتُهُم ومكانتُهم حيث ورّثوا هذا الشَّرَف بشرفِ الْمَوْرُوث.

فلا بدّ من تَوْقِيرهم وتَقْدِيرهم لِمَا يَحْمِلونَهُ مِن ميراث النُّبوَّةِ.

٧- أنَّ اللهَ أَرَادَ بِهِم خَيْرًا:

عن ابن عباسٍ ومعاويةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالا: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وكلُّ أمّةٍ قَبْلَ بِعْثَةِ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ ﷺ فَعُلماؤُهَا شِرارُها، إلاّ المسلمين؛ فإنّ عُلمَاءَهُم خِيَارُهم»(٢).

٨- نَجَاةُ النَّاسِ مَنُوطَةٌ بِوُجودِ العُلماءِ فِيهم:

عن عبد اللهِ بن عمروٍ بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلمَ انْتِزاعًا يَنْزعُهُ مِن العلماءِ، وَلكِنْ**

(١) متفق عليه (البخاري:٧١، ومسلم:١٠٣٦).

(٢) «رفع الملام عن أئمة الأعلام» لابن تيمية (ص١١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَقْبِضُ العلمَ بقبْضِ العُلماءِ حَتَّىٰ إذا لم يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ الناسُ رُؤُوسًا جُهّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوا بغير علم، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»[1].

أي: أنهم أَضلُّوا أنفسهم بإفتائِهم وجَهْلِهِم، وأضلّوا غيرهم فَهَلك الجميع، وليس يُغْنِي عن وجودِ العلماء الكُتُب، مهما كانت ومَهْمَا اشتملت عليه، بل ذهابُ العلمِ يكون بذهابِ حَمَلَتِه[2].

ولِذا؛ كان من الضروري أن نُنَبّه علىٰ بعض صفات الرَّبَّانِيِّين من العلماء وطلابه؛ لأنَّهم قادة المجتمع الإسلامي وبمثابة القلوب في الأجساد.

وأختم هذه المقدمة بما ختم أحد سلفنا الصالح مقدمة كتابه بقوله: «وقد وصفنا في كتابنا هذا علىٰ قدر ما بلغه علمنا، واحتوىٰ عليه فكرنا، وجعلناه حُدُودًا محدودة، ومَعَالِمَ مَقْصُورَة،....

وشَرْطُنا علىٰ قارِئِ كِتابِنَا الإقصار عن طلبِ عُيُوب أخطائِنا، والصَّفْح عمّا يَقِف عليه مِن إغفالنا، والتَّجاوُز عَمَّا ينتهي إليه إهمالنا. فإن أراد التَّصَفّح إلىٰ صواب نَشَرَهُ، أو إلىٰ خطأ سَتَرَهُ، فليس كُلّ

(١) أخرجه البخاري (٧٣٠٧)، ومسلم(٢٦٧٣).

(٢) «شرح السنة للإمام البغوي(١/ ٢-٤).

www.alukah.net

الأَدَب عَرَفْنَاهُ، ولا كلّ العِلم دَرَيْنَاهُ، وعلينا في ذلك الاجتهاد، وإلىٰ الله -تعالىٰ- الإرشاد، وقَلَّ ما نَجَا مُؤَلّفٌ من راصد بمكيدة، أو باحث عن خطيئة»(١).

وآمل بهذا الكتاب المتواضع أن أكون قد سلطتُ ضوءًا علىٰ معرفة شخصية العالم الرباني، واللهَ أدعو أن يجعلها خالصة لوجهه العظيم، ونصرة لسنة نبيه الكريم، والحمد لله رب العالمين.

كتبه

د. عبدالملك بسفورت بن ظافر الماجوني

إمام وخطيب مسجد أبي ذر

الغفاري-الطباع

الأردن - عمان

(١) نقلًا من كتاب: «الأربعون في التصنيف»(ص٢٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تعريف (الرَّبَّانِيَّة)
من حيث اشتقاقها وأصلها اللّغوي

اختلف العلماء من أهل اللغة والتفسير في معنىٰ (الرَّبَّانِيَّة) من حيث اشتقاقها وأصلها اللغوي إلىٰ ثلاثة آراء:

١ -ذهب المبرد[(١)] وبعض المفسرين، كـ: الطبري والقرطبي[(٢)] وغيرهما، أنّ كلمة «الربانيون» مأخوذة من التربية، وواحدها «الرّبَّان»، وهو الذي يُربي العلم، أي يُعلّم الناس وينصحهم، والأَلِف والنُّون للمبالغة، كـ:عطشان، وشبعان، ونعسان، ثم ضُمّ إليه ياء النسبة.

قال الطبري[(٣)] -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «وأَوْلىٰ الأقوال عندي بالصواب في

---

(١) كما في «لباب التأويل في معاني التنزيل» لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (١/ ٣٧٢)، دار الفكر - بيروت، ١٣٩٩هـ. وانظر أيضًا: «تهذيب اللغة» للأزهري(٥/ ١٢١-١٢٢)، و«لسان العرب» لابن منظور(١/ ٤٠٣).

(٢) في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (٦/ ١٨٩)، بتحقيق هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب-الرياض،١٤٢٣هـ.

(٣) في «تفسيره» (٦/ ٥٤٣) بتحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،=

www.alukah.net

«الربانيين» أنهم جمع «رَبَّانِي»، وأنَّ «الرَّبَّانِي» المنسوب إلىٰ «الرَّبَّان» الذي يربُّ الناسَ، وهو الذي يُصْلح أمورهم، ويُربّها» اهـ.

٢-وذهب سيبويه[١] وجمع من المفسرين،كـ:أبي المُظفر السمعاني[٢]، وابن الأنباري وابن الجوزي[٣] أن «الربانية»منسوبة إلىٰ «الرّبّ» علىٰ معنىٰ التخصيص بمعرفة الرب وطاعته. فالرباني منسوب إلىٰ الرّب بمعنىٰ كونه عالمًا به، ومواظبًا علىٰ طاعته، وزيادة الأَلِف والنون للمبالغة دلالة علىٰ كمال هذه الصفة.

وعلىٰ هذا المعنىٰ أيضًا كلمة «رِبِّيُّون» كما في قوله -تعالىٰ-: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ [آل عمران:١٤٦].

= الطبعة الأولىٰ:١٤٢٠هـ.

(١) كما في «تفسير الخازن» (١/ ٣٧٢)، وانظر أيضًا: «تاج العروس» للزبيدي (٢/ ٤٦١)، و«تهذيب اللغة» للأزهري(٥/ ١٢٢)، و«لسان العرب» لابن منظور (١/ ٤٠٣).

(٢) في «تفسيره» (٢/ ٥٠) تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن للنشر - الرياض، ١٤١٨هـ.

(٣) كما في «زاد المسير» (١/ ٤١٣) المكتب الإسلامي-بيروت،الطبعة الثالثة-١٤٠٤هـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال ابن عاشور[١]: «و(الرِّبِّيُّون): جمع رِبِّيّ وهو المُتَّبِع لشريعة الرّب مثل: «الربّاني»...ويجوز في رَائه الفتح علىٰ القياس، والكسر علىٰ أنَّه من تغييرات النسب، وهو الذي قرئ به في المتواتر». وبمثله قال أيضًا أبو السعود في «تفسيره»[٢] عند تأويل هذه الآية.

الراجح:

والذي يترجح من هذه الأقوال أن «الربانية» كلمة قرآنية تدل علىٰ الإنسان الذي عَلِمَ وعَمِلَ بما عَلِم، ثم اشتغل بتعليم الناس الخير، فبهذا تجتمع الأقوال، والله تعالىٰ أعلم وأحكم.

(١) «التحرير والتنوير» لمحمد الطاهر بن عاشور (٤/ ١١٨)، دار سحنون للنشر-تونس ١٩٩٧م.

(٢) المسمىٰ: «إرشاد العقل السليم إلىٰ مزايا القرآن الكريم» (٢/ ٩٥)، دار إحياء التراث العربي-بيروت.

www.alukah.net

الآيات القرآنية الواردة في الرّبَّانِيِّين وأوصافهم

١- قوله -تعالىٰ-: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾[آل عمران:٧٩].

٢- قوله -تعالىٰ-: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦].

٣-قوله -تعالىٰ-: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[المائدة:٤٤].

٤- وقوله -تعالىٰ-: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[المائدة:٦٣].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فمن هذه الآيات من حيث العموم نستنبط هذه الأوصاف للربانيِّين:

١- في الآية الأولىٰ من (آل عمران) ربط الله -عز وجل- الحق بين الرباني، ودراسة الكتاب وتعليمه.

٢- وفي الآية الثانية من (آل عمران) ذكر الله -عز جل- أنهم أتباع الرسل، وتلامذة الأنبياء، وثباتهم علىٰ الدّين إلىٰ الموت.

٣- وفي الآية الثالثة من (سورة المائدة) وصفهم الله -تعالىٰ- بالانقياد لأوامره، والعمل بكتابه مع محافظتهم عليه، والرجوع الدائم إليه.

٤- وفي الآية الرابعة من (سورة المائدة) وصفهم بأنهم من الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

www.alukah.net

مَنْ العَالِمُ الرَّبَّانِيُّ؟

وقد فسَّر أئمة السلف كلمة «الرَّبَّانِيَّة» في الآيات السابقة بعدة أوجُه؛ فمن أهمِّها أنّهم:

١- العلماء الحُكماء الأتقياء:

قال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**الربانيون**؛ هم: العلماء الحُكماء».

وفي رواية عطية عن ابن عباس: «الحكماء العلماء».

وقال سعيد بن جُبير: «الحكماء الأتقياء».

وقال عطاء : «علماء حكماء نصباء لله في خَلْقه».

وقال أبو رزين وقتادة والسّدّي : «الحكماء العلماء»[١].

٢- العلماء الحُلماء الفقهاء:

وقال سعيد بن جُبير : «الحُلماء الفقهاء»[٢].

---

(١) «تفسير الكشف والبيان» للثعلبي (٣/ ١٠٢)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولىٰ:١٤٢٢هـ.

(٢) «الدر المنثور» (٣/ ٦٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عن الضحاك عن ابن عباس : «**الربانيون**: الفقهاء العلماء».

وكذا قال مجاهد: «هُم الفقهاء العلماء»[١].

٣- العُبّاد:

عن عباد بن منصور قال: سألت الحسن في قوله: «الربانيون»، قال: «أهل عبادة الله، وأهل تقوىٰ الله»[٢].

وعن قتادة في (الربانيين) قال : «**الربانيون**: العُبَّاد». وروي عن فضيل بن عياض مثل ذلك[٣].

وقال ابن كثير: «**الربانيون**؛ هم: العُبّاد العلماء»[٤].

٥- المؤمنون:

وأخرج ابن أبي حاتم، عن ابن عباس «الربانيون»؛ قال: هم المؤمنون»[٥].

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٦٤٠٥و٦٤٠٦)، و«الدر المنثور» (٣/ ٦٤٤).

(٢) «تفسير ابن أبي حاتم» (٦٤٠٧).

(٣) المصدر السابق(٦٤٠٨).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١١٧) بتحقيق سامي محمد سلامة.

(٥) (٦٤٠٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

٦- الصحابة رضي الله عنهم:

وعن أبي جعفر -يعني: محمد بن علي- وذُكر أصحاب محمد ﷺ، فقال: «رحمهم الله جميعًا، فَهُم الربانيون والأخيار، كما أنّ نبيهم ﷺ خاتم النبيِّين»(١).

وقال ابن طاهر: «الربانيون هم الصحابة الذين أخذوا كلام الرب بالتدبير الأعلىٰ»(٢).

٧- وُلاةُ الأمور والعلماء أهل البصيرة بسياسة الناس:

قال علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن في «تفسيره»(٣): «وقيل: (الربانيون) هم: ولاة الأمر والعلماء، وهما الفريقان اللذان يطاعان... فدلت الآية علىٰ أن العلم والتعليم والدراسة توجب كون الإنسان ربانيًّا، فمن اشتغل بالعلم والتعليم لا لهذا المقصود: ضاع علمه، وخاب سعيه».

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (٦٤١٠).

(٢) «حقائق التفسير» لأبي عبد الرحمن محمد بن الحسين بن موسىٰ الأزدي السلمي(١/ ١٧٨) بتحقيق سيد عمران، دار الكتب العلمية:١٤٢١هـ.

(٣) (١/ ٣٧٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال ابن زيد : «ولاة النّاس، وقادتهم من المتعبدين المخلصين»[١].

وفي تفسير «السراج المنير»[٢]: «**الربانيون**؛ هم: الذين جمعوا مع العلمِ البَصَارة لِسياسةِ النّاسِ».

(١) «تفسير الثعلبي» (٣/ ١٠٢).

(٢) «السراج المنير» لشمس الدين محمد أحمد الشربيني(١/ ١٨٦) دار الكتب العلمية-بيروت.

www.alukah.net

المراتب التي يجب أن تتوفر عند العالم الرباني

وقال ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: «فإذَا اسْتَكْمَلَ العَبْدُ هَذِه المَرَاتِبَ الأرْبَع: العِلْمَ، والعَمَلَ بِهِ، والدَّعْوَةَ إلَيْه، والصَّبْرَ عَلَيْه؛ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ؛ فإنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَىٰ أنَّ العَالِمَ لا يَسْتَحِقُّ أنْ يُسمَّىٰ رَبَّانِيًّا؛ حَتَّىٰ يَعْرِفَ الحَقَّ، ويَعْمَلَ بِهِ، ويُعَلِّمَهُ، فَمَنْ عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ؛ فَذَاكَ يُدْعَىٰ عَظِيْمًا فِي مَلَكُوْتِ السَّمَوَات»[1].

(١) «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن القيم(٣/ ١٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صِفَاتُ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّين

ومن أبرز صفات العلماءِ الربّانيّين:

*** الإخلاصُ للهِ -تَعَالىٰ-:**

إذا كان الإخلاص شرطًا في جميع الأعمال؛ فهو في طلب العلم ألزم؛ لِأَنّ العلمَ الشرعي لا يُطلب إلا بنية الحصول علىٰ رضوان الله -تعالىٰ- في الدنيا والآخرة.

والنبي ﷺ يقول: «**من يُرِد الله به خيرًا يُفقّهه في الدِّين**»(١)، وأعظم التَّفَقُّه: معرفة حقيقة الإخلاص، والاجتناب عن مبطلاته.

ولَمَّا عَلِمَ أئمةُ السَّلف عِظَمَ شأن الإخلاص، وخطر خُلُوِّ القلب منه في الأعمال، لا سِيّما في طلب العلم؛ خافوا من التصريح بأنهم طلبوا العلم لله -تعالىٰ- في بداية أمرهم.

وهذا أحمد بن حنبل يُسأل عن رجل: هل طلبت العلم لله؟ فيقول: هذا شرطٌ شديد، ولكن حُبِّب إليّ العلم فَجَمَعْتُه(٢).

---

(١) رواه البخاري(٧١، و٧٣١٢)، ومسلم (١٠٣٧) عن معاوية رضي الله عنه.

(٢) «عقيدة الإمام أحمد بن حنبل» برواية أبي بكر الخلال(ص١٢٧)، دار قتيبة - دمشق، الطبعة الأولىٰ:١٤٠٨هـ.

www.alukah.net

وعن حبيب بن أبي ثابت أنه قال: «طلبت العلم وما لي فيه نية، ثم رزق الله النية»(١).

وقال عبد الملك بن أيوب الصدقي: «أما عِلِمْتَ أني لما طلبتُ العلمَ ولزمت المسجدَ؛ كان أصل ذلك رياء»(٢).

إذًا؛ ليس عَيْبًا لمن لم يتمكّن الإخلاص في قلبه أن يُصرّح بأنه غير مخلص حاليًّا في طلب العلم، بل هذه من علامات صدقه مع الله -عز وجل-، بعكس من يظنّ أن ذلك عيب في حقه.

وإذا كان أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ اللَّهُ- وأمثاله من أئمة السلف يخافون الرياء علىٰ أنفسهم، فَكَيْف بنا نحن بالله عليك؟!

مع أنه كان من أحفظ المحدّثين في زمانه، فلا يكاد يُحدِّث إلا مِن كتاب، وليس ذلك إلا أنه أقرب إلىٰ الإخلاص، وأبعد عن الرياء والعُجب(٣).

---

(١) «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٦/ ٣٢٠)، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولىٰ: ١٩٦٨م.

(٢) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٦/ ٣٦٧)، دار الكتاب العربي -بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٥هـ.

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١١/ ٢٩١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أليس حالهم هذا يدل ما قلناه أنّ مِن أعظم التفقه معرفة عظم شأن الإخلاص؟

وإذا قرأت بالتدبّر سيرة الربانيين تجد الكثير منهم إذا قيل له في المجلس: حدِّثْنا، قال: النية ليست في موضعها، والآخر قبل التحديث كان يقول: اللهم سلِّم سلِّم[١].

قال الوليد بن مسلم : «سألت الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وابن جريج : لِمَنْ طَلَبْتُم العِلْمَ ؟ كلهم يقول لنفسي، غير ابن جريج، فإنه قال: طلبتُهُ للناس» .

قال الذهبي: «ما أحسن الصدق! واليوم تسأل الفقيه الغبي: لمن طلبتَ العلم؟ فيبادر ويقول: طلبتُهُ لله، ويكذب، إنما طلبه للدنيا، ويا قِلَّة ما عرف منه»[٢].

قال عون بن عمارة: سمعت هشامًا الدستوائي يقول: «واللهِ ما أستطيع أن أقول أني ذهبتُ يومًا قطّ أطلب الحديث أريد به وجه الله».

(١) انظر: «الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (باب ذِكر أخلاق الراوي، وآدابه، وما ينبغي له استعماله مع أتباعه وأصحابه).
(٢) «سير أعلام النبلاء» للذهبي(٦/ ٣٢٨).

www.alukah.net

قال الذهبي معلقًا: «واللهِ ولا أنا، وقد كان السلف يطلبون العلم لله، فَنبلوا، وصَارُوا أئمةً يُقتدىٰ بهم...»[١].

قال الإمام مالك: «إنك اذا طَلَبْتَ العلمَ لتعمل به؛ سرّك عِلْمُك، وإذا طلبته لغير العمل؛ لم يَزِدْك إلا فَخْرًا»[٢].

وقال مالك بن دينار : «يا عالِم! أنت عالِم تأكل بِعِلْمِك؟ وتفخر بِعِلْمِك؟ لو كان هذا العلم طلبتَهُ لله -تعالىٰ- لَرُئِي فيك وفي عملك»[٣].

وفي رواية أخرىٰ يقول: «فِي زَمَانٍ أَشْهَب لا يبصر، وما بكم إلا البَصير، إنَّكم في زمانٍ كَثيرٌ تَفَاخُرُهم -أو قال: تَعَاجُبُهم- قد انْتَفَخَتْ أَلْسِنَتُهم في أَفْواهِهم، وطَلَبوا الدنيا بعملِ الآخرةِ، فَاحْذَرُوهُم علىٰ أنفسِكُم، لا يُوقِعُوكُم في شَبَكَاتِهم، يا عالِم! أنت عالِم تَفْخَر بِعلمِك؟ يا عالِم! أنت عالِم تأكُلُ بعلمِك؟! يا عالِم! أنت عالِم تَسْتَطِيل بعلمِك؟! يا عالِم! أنت عالِم تُكَاثِر بعلمِك! لو كان هذا العلم طلبتَهُ

(١) المصدر السابق(٧/ ١٥٢-١٥٣).

(٢) «الزهد» للإمام أحمد (ص٣٢٣)، دار الريان للنشر - القاهرة: ١٤٠٨هـ

(٣) «حلية الأولياء» (٢/ ٣٧٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لله؛ لَرُئِيَ ذلك فيك وفي عَمَلِك»[١].

ومُحَصِّل الكلام؛ العالم الربّاني: لا يستحيي من اعتراف زلَّاته، والتصريح بعيوبه، جعلنا الله منهم ومعهم في جناته.

(١) «الزهد» لابن أبي حاتم الرازي (ص٦٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الوَرَعُ

الوَرَعُ من أعظم الصفات البارزة عند العلماء الربانيِّين.

والورع -لغةً-: التَّحَرُّج؛ يقال: تَوَرَّع عن كذا؛ أي: تحرّج.

والورع -في الأصل-: الكفّ عن المحارم والتحرّج منها، ثم استعير للكفّ عن كل ما هو قبيح من الأفكار، والأقوال، والأعمال.

وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة، فقال: «**مِن حُسن إسلام الْمَرْءِ: تَرْكُه ما لا يَعْنِيه**»(١).

فهذا يَعمّ الترك لما لا يعني: من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذا الحديث كافٍ شافٍ في الورع(٢).

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي (٤/ ٥٥٨ رقم ٢٣١٧) وقال: غريب. وابن ماجه (٢/ ١٣١٥، رقم ٣٩٧٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٢٥٥، رقم ٤٩٨٧). وأخرجه أيضًا: ابن حبان (١/ ٤٦٦، رقم ٢٢٩)، وابن عساكر (٤١/ ٤٢٦) عن أبي هريرة وغيره من الصحابة.

(٢) انظر: «كتاب الورع عن الإمام أحمد بن حنبل» برواية الإمام أبي بكر =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تـدبَّر -رحمنـي الله وإيـاك- هـذا الحـديث الجـامع المـانع مـا أعظمه، وما أحوجنا للاجتناب مما لا يعنينا من جميع تلك الأشياء المذكورة آنفًا وغيرها.

واليوم، للأسف الشديد ترىٰ شَيْخًا من الشيوخ ممَّن يُشار إليه بالبنان، إذا كان مع طلابه الخواص، يُطلق من الكلام القبيح في حق عالم آخر؛ بل وفي عرضه ما لا يقبله العقل، فأين الورع المطلوب هنا؟

عقوبة علىٰ هذا، يُبتلون كل يوم بتلاميذ سوء غير متورّعين، حيث إنّ الشيخ بمجرّد أن يولّي ظَهْرَه ينشرون كلامه في المواقع العنكبوتية، ويزيدون وينقصون في كلامه، فيحصل بذلك من الفتن والطامات ما الله به عليم.

وإذا طُولب منه الرجوع والتوبة -يعني من ذلك الشيخ السفيه- فإذا هو بلا حياء يعتذر بكلام سامج: هذا قولي القديم فيه، لم أرض نشره، أو نحو ذلك.

= أحمـد بـن محمـد المـروزي (ص٤-٥) بتحقيـق نـشأت كمـال المـصري، بتصرف يسير، و«تهذيب مدارج السالكين» لابـن القيم، للشيخ عبدالمنعم صالح العزي (ص٢٦٠-٢٦٣) دار ابن الهيثم-القاهرة.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

أقول: سبحان الله! وهل قولك القديم أو الجديد هذا يُبَرِّر لك عدم تورّعك، أين عقلك يا شيخ؟

والورع واجب علىٰ كل مسلم، وشرط في حق المُعَدِّل والجَارِح[١].

ومن الورع عدم الإسراع في التبديع؛ لأن التبديع أمره خطير، لا يتهيأ له إلا من تشيّب حاله في الكُتُب والعبادة، وكثرة الابتهال إلىٰ الله والإنابة، ولذلك قال أبو زرعة الرازي: «كل من لم يتكلم في هذا الشأن علىٰ الديانة؛ فإنما يَعْطِبُ نفسه...-أي يهلك نفسه-وكان الثوري ومالك يتكلمون في الشيوخ علىٰ الدين؛ فنفذ قولهم، ومَن يتكلم فيهم علىٰ غير الديانة يرجع الأمر عليه»[٢].

وقال الحسن البصري: مثقال ذرة من تَوَرّع، خير مِن مثاقيل مِن

(١) علم الجرح والتعديل أكثر العلوم الحديثية صيانة للشريعة، نفيًا للخطأ والكذب وذبًّا عنها، وهو: وصف الراوي بما يقتضي قبول روايته أو رَدّها. وهذا العلم غالبًا في هذا الزمان بين الشباب وبعض الشيوخ يُستخدم في طعن العلماء وإسقاط عدالتهم، أو علمهم، أو مؤلفاتهم، واستخراج عيوبهم، ونقصانهم، ثم نشرها.

(٢) «سؤالات البرذعي» لأبي زرعة (٢/ ٣٢٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صلاة وصوم[١].

ورحم الله الإمام الألباني عندما قال: «فنحن الآن في صَحْوَةٍ علمية، ولسنا في صحوة تربوية، ولذلك نجد كثيرًا من بعض الدعاة يُستفاد منه العلم، لكن لا يُستفاد منه الخُلُق...»[٢].

فعدم التّورّع عند المشايخ والدعاة مِن الْمُعدِّلين والْمُجَرِّحِين مِن أعظم البلايا التي تُبتلىٰ بها هذه الأمة حاليًّا؛ لأن الشيخ غير المتورّع إذا نصب نفسه للتبديع والتجريح بغير عدل ولا ورع ولا إنصاف؛ ظهرت آثره السيئة في المجتمع مباشرة، وإذا كان هذا الشيخ غير متأهل لذلك علميًّا، فانتظر الساعة.

والنبي ﷺ يقول: «**إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»[٣].

العالم الربّاني يُنتج طلابًا ربّانيِّين، بدَلًا مِن أن يُشْغلهم بالقيل والقال والغيبة في أكثر الأحوال، يُرشِدُهم إلىٰ حفظِ المتون، ثم

(١) كتاب «الورع» عن الإمام أحمد بن حنبل (ص٦).

(٢) «الفتاوىٰ الكويتية والأسترالية» للشيخ الألباني، جمع وإعداد عمرو عبدالمنعم (ص٢٥).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ينصحُهُم بمراقبةِ الله -تعالىٰ- والاحْتِياطِ لدينه؛ لأنَّ خيرَ الدّين الورَعُ، ومَن تَرَكَ الشبهات-فضلًا عن المحرمات- فقد استبرأ لدينه وعرضه، والمعصوم من عصمه الله[١].

قال سفيان بن عيينة: «إذا كُنتَ في زمان يُرضىٰ فيه بالقول دون الفعل، والعلم دون العمل؛ فاعلم بأنك في شرّ زمان بين شر الناس».

وقال أحد السلف: «ما أرىٰ أن يعذب الله هذا الخلق إلا بذنوب العلماء»[٢].

وقال أبو الأحوص :حدثنا ابن أبي أوس عن أخيه عن أبيه أنه قال: «أدركتُ الفقهاء بالمدينة يقولون: «لا يجوز-لأحد- أن ينصب نفسه للفتوىٰ ولا يجوز أن تستفتي إلا الموثوق في عفافه، وعقله، وصلاحه، ودينه، وورعه، وفقهه، وحِلمه، ورِفقه، وعلمه بأحكام القرآن والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، عالمًا بالسنة والآثار، وبمن نقلها، والمعمول به منها، والمتروك، عالمًا بوجوه الفقه التي فيها الأحكام، عالمًا باختلاف الصحابة والتابعين؛ فإنه لا يستقيم أن يكون

(١) انظر -تفضلًا-: «السِّير» للذهبي (٨/ ٩٠)؛ فله كلام نفيس في هذا الباب.

(٢) «إبطال الحيل» لابن بطة العكبري (ص٢٨) بتحقيق زهير الشاويش.

www.alukah.net

صاحب رأي له علم بالكتاب والسنة، والأحاديث والاختلاف، ولا صاحب حديث ليس له علم بالفقه والاختلاف ووجوه الكلام فيه، وليس يستقيم واحد منهما إلا بصاحبه.

قالوا: ومن كان من أهل العلم والفقه والصلاح بهذه المنزلة إلا أن طعمته من الناس وحاجاته منزلة بهم، وهو محمول عليهم؛ فليس بموضع الفتوىٰ، ولا موثوق به في فتواه، ولا مأمون علىٰ الناس فيما اشتبه عليهم»[1].

وقد أدرك علماؤنا الأوائل خطورة هذا الباب، فلذا لمْ يَلِجْهُ في الغالب إلا مَن كان أهلًا لذلك، ولعل هذا مما يفسر لنا كثرة رواة الحديث عن النبي ﷺ، مع قِلّة من يتكلم في الأحاديث تصحيحًا وتضعيفًا، وفي الرواة تجريحًا وتعديلًا.

أما اليوم فانعكس الأمر، فقلَّ أن تجد من يحفظ ألف حديث من أحاديث النبي ﷺ حفظًا متقنًا، بينما تجد ألوفًا يصحّحون ويضعّفون، ويُجَرِّحُون ويُعَدِّلُون، ولو كانوا عن علم يفعلون ذلك؛ لكانوا قرة عين لأهل الحديث، ولكن مع الأسف أكثرهم أدخل نفسه

(١) المصدر السابق (ص٢٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

فيما لا يُحْسِن، وتجسّم الكلام في مواضيع كان يَهَابُها الأئمة الأوائل، وأخذ يردّ أقوال العلماء المحقِّقين بالجهل وسوءِ الفَهْم.

قال أبو بكر محمد بن مهرويه الرازي: سمعت علي بن الحسين ابن الجنيد، سمعت يحيىٰ ابن معين يقول: «إنَّا لَنَطْعَنُ علىٰ أقوام لعلّهم قد حَطُّوا رِحالهم في الجنة مِن أكثر من مئتي سنة».

وقال ابن مهرويه: فدخلت علىٰ عبد الرحمن بن أبي حاتم، وهو يقرأ علىٰ الناس كتاب «الجرح والتعديل»، فحدَّثْتُهُ بهذا، فبكىٰ وَارْتَعَدَتْ يداه حتىٰ سقط الكتاب، وجعل يبكي ويَستعيدني الحكاية.

وعلّق الحافظ الذهبي علىٰ هذا الخبر بقوله: «قلت: أصابه علىٰ طريق الوجل وخوف العاقبة، **وإلا فكلام الناقد الوَرِع في الضعفاء مِن النُّصح لدين الله، والذَّبِّ عن السنة**»[1]. اهـ.

ولعلك -أيها القارئ الكريم- أَدْركتَ جمال تعليق الحافظ الذهبي هذا «... وإلا فكلام الناقد الورع...» تأمل كيف اشترط الورع عند الناقد.

---

(١) «السِّير» للذهبي(١٣/ ٢٦٨).

www.alukah.net

ثم قوله: «**في الضعفاء**»؛ أي: ليس في المشاهير الثقات من العلماء، كما هو الغالب في زماننا.

ثم قوله: «**من النُّصح لدِين الله والذَّب عن السُّنَّة**»: دليل علىٰ أن كلام غير الناقد وغير الورع في الناس ليس من النصح، بل من الغيبة، والفتنة، والفرقة.

ولهذا الإمام الجليل أقوال أخرىٰ في هذا الباب؛ منها:

قوله في «تذكرة الحفاظ»[1]: «فحقٌّ علىٰ المحدِّث أن يتورّع فيما يؤديه، وأن يسأل أهل المعرفة والورع؛ ليعينوه علىٰ إيضاح مروياته...».

وقوله في «الموقظة»[2]: «الكلام في الرواة يحتاج إلىٰ ورع تام، وخبرة كاملة بالحديث، ورجاله، وعلله».

فقد ذَكَرَ أئمة السَّلَف أنّ **الحكمة من اشتراط الورع للناقد** أو المحدّث عدّة أمور، منها:

---

(١) (١/ ٤).

(٢) (ص٨٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

١- أنّ الورع يمنعه من القول في الرجال بغير علم، وهذا يلزمه :

أ- علمه باختلاف الفقهاء بما يفسّق الإنسان بفعله، أو تركه.

ب- اطِّلاعه علىٰ أنواع اختلافات العقدية، والبِدَع والخُرافات.

ج- فهمه السديد لقوالب الألفاظ ومعانيها عند أخذِها وأدائِها.

د- معرفته بأحوال أصحاب السلوكيات المختلفة ونوعيّتها.

هـ- بُعْد النظر في تصوّر الممْكِنات.

٢- يمنعُهُ من الجَوْر والحيف في القول فيمن يتكلم فيه، فلا يقول فيه إلا الحق والصدق، بحيث إنه:

أ- لا يَجْرَحُ بالظن.

ب-ولا يُسرِف في الجَرْح.

٣- كما أنَّ الوَرَعَ والتقوىٰ يجعله لا يخاف في الله لَوْمَةَ لائِم، ويحمله علىٰ أن لا يُحابي أحدًا في هذا المجال، بل يقدِّم الاحتياط لسنَّة رسول الله ﷺ علىٰ من يحبُّه أو يقرِّبه.

قال الإمام البيهقي: «ومَن أَنْعَم النَّظر في اجتهاد أهل الحِفْظ في معرفة أحوال الرواة، وما يُقبل من الأخبار وما يُردّ؛ علم أنهم لم يألوا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جهدًا في ذلك، حتىٰ كان الابن يَقْدَح في أبيه...، والأب في ولده، والأخ في أخيه، لا تَأْخُذه في الله لَوْمَة لائِم...والحكايات عنهم في ذلك كثيرة»[١].

٤- **يمنعه أن يجرّح الثقة، أو يوثّق الضعيف**. ومما يجب اجتنابه في هذا المجال:

أ-قَدْحه الساخط، ومَدْحه المُحِبّ.

يقول العلامة عبدالرحمن المعلمي-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إذا كانت نفس الإنسان تهوىٰ أمرًا؛ فاطلع علىٰ ما يحتمل ما يوافقه وما يخالفه، فإن نفسه تميل إلىٰ ما يوافق هواها...فلا يُؤْمَن أن يقوي عند العالم جرح من هو ساخط عليه لأمر، لولا السخط ؛ لَعَلِم أنه لا يوجب الجرح»[٢].

وقال اللكنوي[٣]-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ومن عاداتهم الخبيثة-أي الْمُجرِّحين غير المتورّعين- أنهم كلما نَاظَرُوا واحدًا من الأفاضل في مسألة من

(١) «دلائل النبوة» للبيهقي(١/ ٤٧).

(٢) «التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من أباطيل» (١/ ٥٧-٥٨).

(٣) «الرفع والتكميل» -له- (ص٤٧).

www.alukah.net

المسائل؛ توجّهوا إلىٰ جَرْحِه بأفعاله الذاتية وبحثوا عن أعماله العرضية، وخلّطوا ألف كذبات بصدق واحد، وفتحوا لسان الطعن عليه بحيث يَتَعَجّب منه كل ساجد، وغرضهم منه إسكات مخاصمهم بالسب والشتم، والنجاة من تعقب مقابلهم بالتعدي والظلم، بجعل المناظرة مشاتمة، والمباحثة مخاصمة.

وقد نبّهتُ علىٰ قبح هذه العادات بأوضح الحُجج والبيِّنات في رسالتي: «تذكرة الراشد برد تبصرة الناقد».

ب- تعصبه لمذهب مُعَيَّن، أو بلد مُعَيَّن.

يقول اللكنوي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إذا عُلم بالقرائن المقالية، أو الحالية أنّ الجارح طعن أحدًا بسبب تعصّب منه عليه؛ لا يُقبل منه ذلك الجرح، وإنْ علم أنه ذو تعصّب علىٰ جمع من الأكابر؛ ارتفع الأمان عن جرحه، وعُدَّ مِن أصحاب القَرْح»[1].

٥- يمنعه من التساهل والتشدد، ومما يلزمه في هذا الباب:

أ- اعْتِدَاله في التعديل والتجريح، بحيث لا يرفع أحدًا عن مرتبته، ولا يُنزله عنها.

(١) «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل» (ص٧٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ب- تَجَنُّبُه الاقتصار علىٰ نقل الجرح فقط.

ج-عدم تجريحه فيمن لا يُحتاج إليه.

٦- يمنعه من التَّحَامُل للغرض النفسي الذي يحصل غالبًا بين الأقران من العلماء، وليس كل العلماء؛ بل بعضهم، وذلك أنّ العصمة لله، ثم لرسله -عليهم الصلاة والسلام-.

عن مالك بن دينار أنه قال: «يُؤخذ بقول العلماء والقُرّاءِ في كل شيء، إلا قول بعضهم في بعض»[(١)].

وفي هذا المعنىٰ يقول الإمام الورع أبو عبد الله البخاري: «ولم يَنْجُ كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم، نحو ما يذكر عن إبراهيم في كلامه في «الشعبي»، وكلام الشعبي في «عكرمة»، وفيمن كان قبلهم، وتناول بعضهم في العرض والنفس، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحُجّة، ولم تُسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحُجّة، والكلام في هذا كثير»[(٢)].

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر(٢/ ١٥١).

(٢) نقلًا من كتاب «معجم ألفاظ وعبارات الجرح والتعديل» لسيد عبد الماجد الغوري (ص٩٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

٧- يمنعه من نقل ما ليس بصدق، أو ليس بثابت، ومما يلزمه في هذا الباب:

أ- ذكر السند في القول المنقول.

ب- إبلاغ الكلام بقدر الإمكان بلفظه دون المعنىٰ.

ج- تمييزه بين ما ينقله من المذاكرة، أو الكتب، أو...

د- أن يسمي المنقول عنه[١].

فشتّان بين مَن قَصْدُه من الجرح والتعديل النّصيحة، وبين مَن قصده التعيير والفضيحة، ولا تلتبس إحداهما بالأخرىٰ إلا علىٰ من ليس من ذوي العقول الصحيحة.

قال الإمام ابن رجب الحنبلي -رَحِمَهُ ٱللَّهُ-[٢]: «ومن أظهر التعيير:

(١) استفدتُ في ذكر هذه الفقرات كلها من مقدمة «الرد الوافر» لابن ناصر الدين، ومقدمة كتاب «معجم ألفاظ الجرح والتعديل...» لسيد جمال الغوري، وكتاب «ضوابط الجرح والتعديل» للدكتور عبد العزيز بن محمد إبراهيم العبداللطيف.

(٢) في كتابه «الفرق بين النصيحة والتعيير» (ص٤٢-٤٤) بتحقيق نجم عبدالرحمن خلف -باختصار-.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إظهار السوء وإشاعته في قالب النصح، وزعم أنه يحمله على ذلك العيوب إما عامًّا أو خاصًّا، وكان في الباطن إنما غرضه التعيير والأذى، فهو من إخوان المنافقين الذين ذمهم الله في كتابه في مواضع، فإن الله -تعالى- ذم من أظهر فعلًا وقولًا حسنًا، وأراد التوصل إلى غرض فاسد يقصده في الباطن...

ومثال ذلك: أنْ يُريد الإنسان ذم رجل وتنقّصه وإظهار عيبه ليُنفّر الناس عنه، إما محبة لإيذائه لعداوته، أو مخافة من مزاحمته على مال، أو رئاسة، أو غير ذلك من الأسباب المذمومة، فلا يُتوصل بذلك إلا بإظهار الطعن فيه بسبب ديني، مثل:

أن يكون قد ردّ قولًا ضعيفًا من أقوال عالم مشهور، فيشيع بين من يُعظّم ذلك العالم أن فلانًا يُبغض هذا العالم، ويذمه ويطعن عليه،فيغر بذلك كل من يُعظّمه، ويوهمهم أن بغض الراد وأذاه من أعمال القرب، لأنه ذب عن ذلك العالم، ورفع الأذى عنه، وذلك قربة إلى الله -تعالى- وطاعته، فيجمع هذا المظهر للنصح بين أمرين قبيحين مُحرّمين:

أحدهما: أنْ يحمل رد هذا العالم القول الآخر على البغض

www.alukah.net

والطعن والهوىٰ،وقد يكون إنما أراد به النصح للمؤمنين، وإظهار ما لا يحل له كتمانه من العلم.

والثاني: أنْ يُظهر الطعن عليه ليتوصّل بذلك إلىٰ هواه وغرضه الفاسد في قالب النصح، والذب عن علماء الشرع...» اهـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصِّدْقُ

الصِّدْق عنوان الربَّانيِّين، ولا يكون الرجل صادقًا إلا إذا كان مخلصًا، وذلك أن الصدع بالحق يحتاج إلىٰ قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقويّ بلا إخلاص يُخذل، فَمَن قام بهما كاملًا فهو صِدِّيق(١).

والدليل قوله -تعالىٰ-: ﴿الٓمٓ . أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[العنكبوت:١-٢].

وما جاء في السُّنَّة كما روىٰ الشيخان(٢) : عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما مِن أحدٍ يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، صِدْقًا من قلبه: إلا حرَّمهُ اللهُ علىٰ النّار**».

قال العلامة الحافظ ابن حجر في «فتح الباريٰ» (باب من خصّ بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا): «قال الطيبي: قوله: «صِدْقًا»: أقيم هنا مقام الاستقامة؛ لأن الصدق يُعبَّر به قولًا عن مطابقة

(١) يُنظر: «السير» للذهبي(١١/ ٢٣٤).

(٢) البخاري(١٢٩و٢٧٠١)، ومسلم (٣٢).

www.alukah.net

القول المخبر عنه، ويعبر به فعلًا عن تحرّي الأخلاق المرضية، كقوله -تعالىٰ-: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزُّمَر:٣٣]؛ أي: حقّق ما أورده قولًا بما تحرّاه فِعْلًا»[(١)].

والصِّدق هو الأصل الذي يهدي إلىٰ البِرّ، والكذب أصل الفجور كما جاء في حديث الصحيحين[(٢)].

وقال أبو عثمان -رحمة الله عليه-: «الربَّانيّون هم أهل حقيقة الحق، وهم أهل المحبة لله بالصِّدق»[(٣)].

وإذا تدبّرنا سيرة الربانيِّين مِن أئمة السلف نرىٰ أن: مدخلهم صدق، ومخرجهم صدق، وعلانيتهم وسرهم صدق.

والسبب أنهم أكثر الناس اقتداءً بالنبي ﷺ، بعدما فهموا أنّ الصدق هو أعلىٰ مقام الإسلام والسُّنَّة.

---

(١) نقلًا من كتاب: «القواطع الإلهية لإقامة العبودية» لعبدالفتاح بن عمر زواري الجزائري (ص٣٠).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٤٧٤٣)، و«مسلم» (٦٨٠٣) من حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) «تفسير السلمي» (١/ ١٨١).

www.alukah.net

فقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوىٰ»[1] فوائد الصدق، ومما قال في ذلك:

«الصدق أساس الحسنات وجماعها، والكذب أساس السيئات ونظامها، ويظهر ذلك من وجوه :

أحدها: أن الإنسان هو حيّ ناطق، فالوصف المقوم له الفاصل له عن غيره من الدواب هو المنطق.

والمنطق قسمان: خبر وإنشاء .

والخبر: صحته بالصدق وفساده بالكذب. فالكاذب أسوأ حالا من البهيمة العجماء، والكلام الخبري هو المميز للإنسان، وهو أصل الكلام الإنشائي؛ فإنه مظهر العلم، والإنشاء مظهر العمل، والعلم متقدم علىٰ العمل وموجب له ، فالكاذب لم يكفه أنه سلب حقيقة الإنسان حتىٰ قلبها إلىٰ ضدها، ولهذا قيل: «لا مُرُوءَةَ لِكذوبٍ، ولا راحةَ لِحَسُودٍ، ولا إخاءَ لِمُلوكٍ، ولا سُؤْدد لِبَخِيل، فإنّ المروءة مصدر المرء، كما أن الإنسانية مصدر الإنسان ».

---

(١) (٢٠/ ٧٤-٧٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الثاني: أن الصّفة المميزة بين النبي والمتنبئ هو الصدق والكذب؛ فإن محمدًا رسول الله الصادق الأمين، ومُسَيْلمة هو الكذاب. قال الله -تعالىٰ-: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ‎ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[الزُّمَر:٣٢-٣٣].

الثالث : أن الصفة الفارقة بين المؤمن والمنافق هو الصدق؛ فإن أساس النفاق الذي بني عليه هو الكذب، وعلىٰ كل خُلُقٍ يُطبع المؤمن ليس الخيانة والكذب .

وفي «الصحيحين»[(١)] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث مَن كُنَّ فيه كان مُنافقًا: إذا حدّث كذب، وإذا وَعَد أَخْلَف، وإذا اؤْتُمِن خَان** » .

الرابع : أن الصّدق هو أصل البر، والكذب أصل الفجور،كما في «الصحيحين»[(٢)] عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**عليكم بالصدق؛ فإن الصدق يهدي إلىٰ البرّ، وإن البرّ يهدي إلىٰ الجنة، ولا يزال الرجل يصدق**

(١) البخاري (١٧)، ومسلم (٤٢).

(٢) البخاري (٧١٨٨)، ومسلم (٢٦٦٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويَتَحرّىٰ الصدق؛ حتىٰ يُكتب عند الله صِدِّيقًا، وإياكم والكذب؛ فإن الكذب يهدي إلىٰ الفجور، وإن الفجور يهدي إلىٰ النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرىٰ الكذب؛ حتىٰ يكتب عند الله كذابًا » .

الخامس: أن الصادق تنزل عليه الملائكة، والكاذب تنزل عليه الشياطين، كما قال -تعالىٰ-: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[الشعراء:٢٢١-٢٢٣].

السادس: أن الفارق بين الصدّيقين والشهداء والصالحين، وبين المتشبه بهم من الْمُرائِين والْمُسَمِّعِين والْمُبْلِسين؛ هو الصّدق والكذب.

السابع: أنه مقرون بالإخلاص الذي هو أصل الدين في الكتاب، وكلام العلماء والمشايخ. قال الله -تعالىٰ-: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ . حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾[الحج:٣٠-٣١].

وقال ﷺ: «**أَلاَ أُنَبِّئُكم بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ: الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْن**» وكان مُتكئًا فجلس، فقال: «**أَلا وقَوْلُ الزُّورِ، أَلا وشَهَادَةُ الزُّور**»، فما زال يكرّرها حتىٰ قلنا لَيْتَهُ سَكَت[1].

(١) «صحيح البخاري» (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

www.alukah.net

الثامن: أنه ركن الشهادة الخاصة عند الحكام التي هي قوام الحكم والقضاء والشهادة العامة في جميع الأمور، والشهادة خاصة هذه الأمة التي ميزت بها في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾[البقرة:١٤٣].

وركن الإقرار الذي هو شهادة المرء علىٰ نفسه، وركن الأحاديث والأخبار التي بها يقوم الإسلام؛ بل هي ركن النبوة والرسالة التي هي واسطة بين الله وبين خَلْقه، وركن الفتيا التي هي إخبار المفتي بحُكم الله، وركن المعاملات التي تتضمن أخبار كل واحد من المتعاملين للآخر بما في سلعته، وركن الرؤيا التي قيل فيها : أصدقهم رؤيا أصدقهم كلامًا، والتي يؤتمن فيها الرجل علىٰ ما رأىٰ .

التاسع: أنَّ الصِّدْقَ والكَذِبَ هو المميز بَيْن المؤمن والمنافق.

وفي «الصحيحين»[(١)] عن أنس رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال : «**آيةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إذا حدّث كذب، وإذا وَعَد أَخْلَفَ، وإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ** ».

ووصف الله المنافقين في القرآن بالكذب في مواضع متعددة، ومعلوم أنّ المؤمنين هم أهل الجنة، وأن المنافقين هم أهل النار في

(١) «صحيح البخاري» (٣٣)، ومسلم (٥٩) (١٠٧)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدَّرْكِ الأسفل من النار .

العاشر: أنّ المشايخ العارفين اتفقوا علىٰ أن أساس الطريق إلىٰ الله هو الصدق والإخلاص، كما جمع الله بينهما في قوله : ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ . حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج:٣٠-٣١]. ونصوص الكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة دالٌّ علىٰ ذلك في مواضع، كقوله -تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، وقوله -تعالىٰ-: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ . وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾[الزُّمَر:٣٢-٣٣].

وقال -تعالىٰ- لمَّا بيَّن الفرق بين النبي، والكاهن، والساحر: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ . نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ . وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٦] إلىٰ قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء:٢٢١-٢٢٢]. وقال -تعالىٰ-: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣]، وقال

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

-تعالىٰ-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء:١٣٥]» اهـ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الزُّهْدُ

أجمع تعريف عن الزهد -في نظري- هو ما قاله أبو سليمان الداراني: «[الزهد] هو ترك كل ما يُشْغِل عن الله -تعالىٰ-».

وقال الإمام أحمد: «الزُّهد علىٰ ثلاث درجات: ترك الحرام، وهو زُهد العوامّ، وترك الفُضُول من الحلال، وهو زهد الخواصّ، والثالث: ترك ما شغل عن الله، وهو زهد العارفين.

وذلك أن زهد العارفين من الربانيِّين يشمل نَوْعَي الزهد كِلَيْهما؛ لأنّ ترك الحرام والفضول أيضًا يشغل الإنسان عن الله، كما أنهما لا ينفعان في الآخرة شيئًا -قاله شيخ الإسلام ابن تيمية-[1].

ولا يستحقّ العبد اسم الزهد حتىٰ يزهد في هذه الأشياء: المال والصورة، والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله-عز وجل-[2].

قال الله -عز وجل- تخصيصًا للعلماء وتفضيلًا للفقهاء: ﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص:٨٠] يعني: الصابرين علىٰ الدنيا

(١) «مدارج السالكين» لابن القيم(٢/ ١٠).

(٢) المصدر السابق(٢/ ١٢).

www.alukah.net

وزينتها رضاء بالله وبثوابه وبما أعاضهم من العلم به، والفهم عنه، وبما فقهوا عنه ما وعد به من صبر عنها، ولذلك يروىٰ -والله أعلم- في معنىٰ هذا قول النبي ﷺ: «**مَن يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين**». متفق عليه(١).

قال مطر الورّاق: سألت الحسن البصري عن مسألة، فقال فيها، فقلت: يا أبا سعيد! يأبىٰ عليك الفقهاء، فقال الحسن: ثَكِلَتْكَ أمك يا مَطر، وهل رأيت بعينك فَقِيهًا قطّ؟ وقال: «تدري ما الفقيه؟ **الوَرِع الزاهد المُقيم علىٰ سنّة رسول الله ﷺ، الذي لا يَسْخَر بِمن أسفل منه، ولا يهزأ بمن فوقه، ولا يأخذ علىٰ علم عَلَّمه الله إياه حُطامًا**»(٢).

وقال سفيان الثوري: «عليك بالزهد فإنه يبصّرك الله به عورات الدنيا، وعليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع ما يُرِيبُك إلىٰ ما لا يُرِيبُك، وادفع الشك باليقين يَسْلم لك دينك»(٣).

---

(١) «إبطال الحيل» لابن بطة العكبري (ص١١).

(٢) المصدر السابق (ص١٥).

(٣) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٧/ ٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البَصِيرَةُ

العالم الرباني هو الذي يجمع بين البصيرة في الدين والقوة علىٰ الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء حَقًّا وصِدْقًا.

«**والبصيرة في الدين**؛ هي: العلم بالشريعة المستمدة من الكتاب والسُّنَّة بفَهم الصحابة»(١).

وقال مجاهد: «الرَّبانيُّون فوق الأحبار؛ فالأحبار: العلماء، والرَّبانيُّون : الذين جَمَعُوا مع العلم البصيرة بسياسة الناس»(٢).

ومِن بصيرة هؤلاء العلماء العاملين الربانيين: التمييز بين نافِعِ العِلم وضارِّه، وبَيْن ما يُحتاج إليه منه، وما لايحتاج إليه.

العالم الرباني بصير بمداخل الشيطان وأسباب الفرقة، التي من أهمها: الابتداع، والجهل، واتباع الهوىٰ، وتحكيم العقل وتقديمه

(١) انظر كتاب: «فاستقم كما أمرت» للشيخ عبد العزيز بن ناصر الجليل (ص٣٨٠).

(٢) «تفسير السمعاني» (١/ ٣٣٦) بتحقيق ياسر إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن - الرياض:١٤١٨هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

علىٰ النصوص ومخالفة منهج أهل السُّنَّة والجماعة في النظر والاستدلال.

العالم الرباني بصير بأصول الوحدة والاتحاد والاجتماع المتمثلة في وحدة العقيدة، وتحكيم الكتاب والسُّنَّة، وصدق الانتماء إلىٰ الإسلام، وطلب الحق، والتحرِّي في ذلك، وتحقيق الأخوة بين أفراد المسلمين(١).

وتحقيق ذلك فيما قاله مجاهد-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «[الربانيُّون] هم الذين يُرَبُّون الناس بِصغار العلم قبل كباره»(٢).

(١) انظر «أسباب النصر والتمكين في القرآن الكريم»

(٢) «صحيح البخاري» (٦٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الحِكْمَة

العالم الرباني يتميز بتصرّفاته الحَكيمة، لذلك لا تجد منهم من يماري ويداري، بل ينشر علمه بالحكمة، ويرجو جزاء ذلك من الله -تعالىٰ-.

سئل أحد أئمة السلف: مَن هُم «الربانيون»؟ قال: «هُمْ الَّذِينَ يُغَذُّونَ النَّاس بِالْحِكْمَةِ، وَيُرَبُّونَهُمْ عَلَيْهَا»(١).

ومِن حِكمة الربانيِّين التي يُغذّون الناس بها: إنارة القلوب بالعقيدة الصحيحة، وإخلاص النيَّات، وتفجير النبوغ والطاقات، والصبر علىٰ اجتياز العقبات ..، وغَرْس الفضائل في النفوس.. ودفعها إلىٰ تحمل الشدائد والمكاره في سبيل الغايات النبيلة والمقاصد الجليلة، كما أنها تبعث إلىٰ التأسِّي بذوي التضحيات والعزمات، لتسمو إلىٰ أعلىٰ الدرجات وأشرف المقامات.

ومن حكمتهم: تقديمهم الفكرة التي يريدون إبلاغها بإيجاز واضح غير مُخِلّ، وبأسلوب مُشوِّق غير مُمِلّ، بحيث يَغْلِب علىٰ

(١) «مجموع الفتاوىٰ» لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٦٣).

www.alukah.net

ظنّهم أن الْمُخاطَب قد استوعب الكلام، وهذا ما كان يفعله رسول الله ﷺ كما جاء في رواية أنس رضي الله عنه: «كان رسول الله ﷺ إذا تكلّم بكلمة أعادها ثلاثًا؛ حتىٰ تُفهم عنه...»[(١)] الحديث.

ومن حكمتهم: مخاطبة الناس -طُلاَّبًا وعَوَامًا- علىٰ قدْر عُقولِهم. قال علي رضي الله عنه: «حدِّثوا الناس بما يَعْرِفُون، وَدَعُوا ما يُنكرون، أَتُحبّون أن يُكذَّب اللهُ ورسولُه»[(٢)].

قال المروذي: سألتُ أبا عبد الله أحمد ابن حنبل عن شيئ من أمر العدل، فقال: «لا تسأل عن هذا؛ فإنك لا تُدركه».

وقال ابن عقيل في «الفنون»[(٣)]: حرامٌ علىٰ عالِمٍ قَوِيّ الجوهر، أدرك بجوهريته وصَفاءِ نحيزته عِلْمًا أَطْلَقه، فَحَمله أنْ يرشح به إلىٰ ضعيف لايحمله، ولا يحتمله، فإنه يُفسده».

---

(١) البخاري (٩٤و٩٥و٦٢٤٤).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» تعليقًا (كتاب العلم: باب من خص بالعلم قومًا دون قوم).

(٣) كما في «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لابن مفلح (٢/ ١٦٢)، دار الإمام أحمد، الطبعة الأولىٰ:١٤٢٦هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما أنت بمحدِّثٍ قَوْمًا حديثًا لا تَبْلُغه عقولهم إلا كان لِبعضهم فتنة»(١).

وقال الإمام الشافعي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «لو أنَّ محمد بن الحسن كان يُكلِّمُنا علىٰ قَدْرِ عَقْله؛ ما فهمنا عنه؛ لكنه يُكلِّمنا علىٰ قدر عقولنا؛ فنفهمه»(٢).

وقال الإمام الذهبي: «...فلا تَكْتُم العلم الذي هو علم، ولا تُبذله للجهلة الذين يشغبون عليك، أو الذين يفهمون منه ما يضرهم»(٣).

قال الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

والجَهْلُ داءٌ قاتل وَشِفاؤه ... أَمْرَانِ في التَّركيبِ مُتَّفِقَان

نَصٌّ مِن القرآنِ أو مِن سُنَّةٍ ... وطَبِيبُ ذَاكَ العالِمُ الرَّبَّاني

---

(١) رواه مسلم (٥).

(٢) «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ١٦٤).

(٣) «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٠/ ٥٧٨)، وراجِعْ -لزامًا- كتاب: «الجامع في أخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (باب كراهة التحديث لمن لا يبتغيه وأن من ضياعه بذله لغير أهله)، و(باب من كان يمتنع أن يحدث من لا نية صحيحة له في الحديث)؛ فإنَّ فيهما فوائد نفيسة.

www.alukah.net

فكَمْ مِن قلوب كانت مريضة سقيمة شفاها الله بفضله، ثم بالعلماء الربانيِّين، أطباء الأرواح الذين يُحسنون تعليم الأمة وهدايتها، ودلالتها إلىٰ صراط الله المستقيم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاِعْتِدَالُ

الاعتدال ميزان العلماء الربانيِّين، و«**أحب العمل إلىٰ الله أدومه وإنْ قَلّ**»(١)، والاعتدال في الأشياء معين علىٰ الديمومة والبقاء، وسبيل من سبل الإتقان والإحكام، و«**إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملًا أنْ يُتقنه** »(٢)؛ فلا زيادة ولا نقصان، ولا غلوّ ولا جفاء ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:١٤٣]. والاعتدال مطلب شرعي، وخير الأمور الوَسَط، وما عَداهُ الشَّطَط.

ومَن أراد العبرة في ذلك؛ يكفيه التأمل في عنوان كتاب الإمام الذهبي: «ميزان الاعتدال في نقد الرجال»، وما سماه هكذا إلا تذكيرًا لنفسه ولمن يريد التعديل والتجريح أن الحكم علىٰ الرجال يجب أن يكون علىٰ حالة الاعتدال، والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم(٧٨٣) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٤٣٨٦)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٣٣٤) عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا، وصحّحه الشيخ الألباني في «الصحيحة» (١١٣).

www.alukah.net

وهو القائل في مقدمة كتابه هذا: «ليس من شرط الثقة أن يكون معصومًا من الخطايا والخطأ، فالكامل الذي ليس فيه شيء عزيز نادر الوجود».

هذا الميزان ينبغي أن نطبقه مع إخواننا ومشايخنا، فلا نَغْلُو فيهم، ولا نبخسهم حقهم لمجرّد هَفوة أو زلة صدرت من أحدهم، فالمرء يوزن بتقواه واستقامته علىٰ السُّنَّة، ومن كَثُرت حسناته تُجووِز عن سيئاته.

ويقول الإمام الذهبي -وهو ذهبي الكلام-: «ثم إن الكبير مِن أئمةِ العلم إذا كَثُر صوابه، وعلم تحرّيه للحق، واتَّسع عِلمُه، وظهر ذكاؤُه، وعُرِف صلاحه وَوَرَعُه واتِّباعُه؛ يُغْفر له زلَلُهُ، ولا نُضلِّلُه ونَطْرَحُه ونَنْسىٰ محاسنه. نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئِه، ونرجو له التوبة من ذلك»[1].

وقال أيضًا: «ولو أنّا كلّما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل، قُمْنا عليه وبدَّعْناه وهجرناه لما سَلِم مَعَنَا لا ابن نصر ولا ابن مَنْدَه، ولا مَن هو أكبر منهما»[2].

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٢٧١).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٣٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال أيضًا: «ولو أنَّ كلَّ مَن أخطأ في اجتهاده مع صحَّة إيمانه وتوخِّيه لاتباع الحقِّ أَهْدَرْناه وبدَّعْنَاه، لَقَلَّ مَن يَسْلم من الأئمَّة معنا، رحم الله الجميعَ بمنِّه وكرمه»(١).

وقال ابن قيم الجوزية-رَحِمَهُ اللَّهُ-: «ومَن له علم بالشرع والواقع يَعلمُ قطعًا أنَّ الرَّجلَ الجليل الذي له في الإسلام قدَم صالح وآثار حسنة، وهو من الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزلَّة هو فيها معذور، بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يُتَّبَعَ فيها، ولا يجوز أن تُهدر مكانته وإمامته ومنزلته من قلوب المسلمين»(٢).

وكل شيء جاوز عن حدّه انقلب إلىٰ ضده، وكل غلو فهو طريق هلاك، وإنما طريق النجاة هو الاعتدال والاستقامة: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾[هود:١١٢](٣).

---

(١) المصدر السابق(١٤/ ٣٧٦).

(٢) «إعلام الموقعين» لابن القيم (٣/ ٢٩٥).

(٣) للمزيد عن أهمية الاعتدال: راجِعْ كتاب «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الأَمَانَةُ

الأَمَانَة عِبارة عن شُعور المرءِ بمحاسبة نفسه في كل أمر يُوَكَّل إليه، وإدراكه الجازم بأنه المسؤول عنه أمام ربه(١).

جاء رجل يسألُ رسولَ الله ﷺ: متىٰ تقوم الساعة؟ فقال له: «**إذا ضُيعت الأمانة؛ فانتظر الساعة**»، فقال: وكيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وُسِّد الأَمرُ لغير أهله؛ فانتظر الساعة**»(٢).

إنَّ الأمانة تدعو أن يحرص المرء علىٰ أداء واجبه العلمي أو العملي كاملًا، وأنْ يستنفذ جهده في إبلاغه تمام الإحسان.

إن الأمانة تدعو إلىٰ رعاية حقوق الآخرين، وتعصم عن الدنايا، ولا تكون بهذه المثابة إلا إذا استقرت في وجدان المرء، ورَست في أعماقه، وهَيْمَنَت علىٰ الداني والقاصي من مشاعِره.

إن الأمانة فضيلة ضَخْمة، لا يستطيع حملها أيُّ واحد من الناس، إلا الرسل والأنبياء، ثم أمثال الربانيِّين من العلماء، وقد

(١) «مئة خصلة لتكوين شخصية متميزة» للدكتور فهد خليل زايد (ص٧١).

(٢) رواه البخاري (٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضرب الله مثلًا لضخامتها، فأبان أنها تثقل كاهل الوجود كلها، لذا لا ينبغي للمسلم أن يستهين بها، أو أن يفرط في حقّها.

قال الله -عز وجل-: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[الأحزاب:٧٢].

ومن صفات الأُمَنَاء:

١- الإيمان الصافي الصادق.

قال -تعالىٰ-: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴾ [المؤمنون:١-٨].

وذلك أن الإيمان والأمانة مرتبطان، كما قال النبي ﷺ: «**لا إيمان لِمَن لا أمانة له، ولا دِينَ لمن لا عَهْدَ له**»(١).

ولأهمية الإيمان فيمن يَلِي أمور المسلمين جاء ذِكر ضياع الأمانة

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١٣٥و١٥٤)، وابن حبان (١٩٤)، وابن خزيمة (٢٣٣٥)، وأبو يعلىٰ (٢٨٦٣) بسند صحيح من حديث أنس رضي الله عنه، انظر: «المشكاة» (٣٥) للشيخ الألباني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وقُرب الساعة عند ضعف الإيمان، والابتعاد عن الله، والتفريط في حدوده.

وصاحب الإيمان يبحث عن الأمناء الصالحين، فيُدنيهم منه، وإذا أراد الله بالناس صلاحًا؛ عمَّل عليهم أُمناءهم، وقضىٰ بينهم فقهاؤُهم.

٢- العقل:

وينبغي أن يقوم بأمور المسلمين الأمناء العقلاء، كما يقول عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنه لم يُقم أمر الله في الناس إلا حَصيف العُقْدَة (العقل المحكم) بعيد الغرة (بعد حفظه لغفلة المسلمين)، ولا يخشىٰ في الحق جرأة، ولا يخاف في الله لومة لائم[1].

ويتفرّع مِن قوة العقل: حسن الرأي، وسلامة الفطرة، واستقامة التدبّر، والتفطّن لدقائق الأمور.

٣- القُوَّة:

وهي أحد الركنين المقصودين في الولاية، كما قال -تعالىٰ-:

(١) نقلًا من «إحياء علوم الدين» للغزالي(٣/ ٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦].

يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ألا وإني وجدتُ صلاح ما ولاّني الله -تعالىٰ- بأداء الأمانة، والأخذ بالقوة»[(١)].

ولا تعني القوة في الولاية عدم مراعاة الرفق، فإن الله رفيق يُحِبّ الرفق.

٤- الكَفَاءَةُ:

وهي المقدرة الحقيقية علىٰ القيام بما يُكلف به المرء، لذلك ينبغي أن لا تُسند الوظائف والمناصب إلا من تؤهله قدراته العلمية والعملية والخُلُقية، فإن الله سائل كل امرئ عما وُكل إليه من عمل، وأنيط به من مسؤولية.

وقال -تعالىٰ-: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

---

(١) «عيون الأخبار» (١/ ١١٧).

www.alukah.net

وقال القَلْقَشَنْدِي: «إنّ مرتبة الحكم لا تُعطىٰ إلا أهلها، والأقضية لا يُنصب لها إلا مَن هو كفء لها، ومن هو متّصف بصفات الأمانة والصيانة، والعفة والديانة، فمن هذه صفاته؛ استحقّ أن يُوجه ويُستخدم، ويترقىٰ ويتقدّم». أهـ.[١]

٥- ضبط الموازين العلمية:

وقد سلك أئمة السلف الصالح في جميع علوم الشريعة مناهج دقيقة لَمْ يُسبقوا لمثلها، مع إبداع في ضبط موازينها العلمية بأمانة فائقة وتوثيق دقيق[٢].

٦- التعاون العلمي المُثْمر:

وأصل ذلك قوله -تعالىٰ-: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة:٢].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «تناصحوا في العلم، فإن خيانة أحدكم في

(١) «صبح الأعشىٰ» (١٤/ ٣٤١).

(٢) انظر: «الإسناد من الدين» (ص٣٥)، و«أسس العلم وضوابطه في السُّنَّة النبويَّة» للدكتور فاروق حمادة (ص٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

علمه أشدّ من خيانته في ماله، وإن الله سائلكم يوم القيامة»[١].

ويشمل التعاون العلمي :

أ- تضافر الجهود في نقل العلوم.

ب- والتناصح والتناصر فيه»[٢].

(١) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٩/ ٢٠)، والطبراني في «الكبير» (١١٧٠١)، و«تاريخ بغداد» للخطيب (١/ ٣٥٧).

(٢) مقتبس من كتاب: «الأمانة في الإسلام وآثارها في المجتمع» للدكتور عبد اللطيف بن إبراهيم الحسين -بتصرف واختصار-، دار ابن الجوزي، السعودية، ط- الأولىٰ:١٤٢٦هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الحِلْمُ

العالم الرباني الحليم هو من يضبط نفسه عند الغضب، ويصبر علىٰ الأذىٰ، من غير ضعف ولا عجز ابتغاء وجه الله -تعالىٰ-.

قال الإمام النووي: «الحِلم هو العقل، والأَناة هي التثبّت، وترك العَجَلة».

قال ابن عبد البر: «ما أحسن الإسلام ويزيّنه الإيمان، وما أحسن الإيمان يزيّنه التقوىٰ، وما أحسن التقوىٰ يزيّنها العلم، وما أحسن العلم يزيّنه الحِلم..»(١).

وفي هذا المعنىٰ يقول الشعبي -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «جالسوا العلماء [الحلماء]، فإنكم إن أحسنتم حَمَدُوكم، وإن أسأتُم تأوَّلُوا لكم وعَذَرُوكُم، وإن أخطأتم لم يُعَنِّفُوكم، وإن جهلتم عَلَّمُوكم، وإن شَهِدُوا لكم نَفَعُوكُم»(٢).

(١) «صحيح جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (ص١٥٤)

(٢) المصدر السابق (رقم:٥٣٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعض الأدباء في هذا المعنىٰ:

العلـم والحلـم حُلّتـا كَـرَمٍ لِلْمَــرْءِ إِذَا هُمَــا اجْتَمَــعَا
كَـمْ مِـنْ وَضِـيعٍ سَـمَا بِـهِ العِلْـمُ وَالْحِلْمُ، فَنَالَ السُّمُوَّ وَارْتَفَعَـا (١)

وقال عطاء بن يسار: «ما أُووِي شيئ إلىٰ شيئ أَزْيَن من حِلم إلىٰ عِلم»(٢).

وقال سليمان بن حرب: «زين هذا العلم حِلمُ أهله»(٣).

وذُكِر في بعض كُتب الآداب أن الحِلم سيّد الأخلاق، وأساس الرفق، وعنوان الصفح والعفو، وذروة سنام الصبر، والله أعلم.

---

(١) المصدر السابق (ص١٥٥).

(٢) المصدر السابق (ص١٥٤).

(٣) المصدر السابق (ص١٨٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

التَّوَاضُعُ

التواضع تاج العلماء الربانيِّين، وقوام خُلُقِهم، وليس ذلك إلا من أجْلِ خُضُوعِهم للحق، وانقيادهم له، سواء كان هذا الحق في كتاب الله، أو في سُنَّة رسول الله ﷺ.

وأكثر العلماء تواضعًا أكثرهم عِلمًا، كما أن أكثر الأماكن ماءً أكثرها انخفاضًا.

قال النبي ﷺ: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»(١).

وها هو جبريل عليه السلام يُرشد نبينا ﷺ إلىٰ التواضع.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «**جلس جبريل إلىٰ النبي ﷺ، فنظر إلىٰ السماء فإذا مَلَك ينزل، فقال جبريل: إنّ هذا المَلَك ما نزل منذ يوم خُلِق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد! أرسلني إليك ربُّك، قال: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يجعلك، أو عَبْدًا رسولًا؟ قال جبريل: تواضَعْ لربك يا محمد، قال النبي ﷺ: بل عبدًا رسولًا**»(٢).

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٣١)، وأبو يعلىٰ (٦١٠٥)، وابن حبان=

www.alukah.net

وهذا الحديث يدل علىٰ فضيلة التواضع، وأنه خُلُقٌ كريم يُرشد إليه الأنبياء والصالحون[١].

* **ومِن تواضع الربانيِّين**: ترك الإعجاب بعلمهم، وعدد مؤلفاتهم أوكتبهم، ومكتباتهم...

* **ومِن تواضع الربانيِّين**: نبذهم الرئاسة عن أنفسهم، وعدم احتقار إخوانهم من العلماء النبلاء، وطلاب العلم الفضلاء.

* **ومِن تواضعهم**: بذل الاحترام والعطف لمن يستحقه.

* **ومِن تواضعهم**: كراهيتهم الاتصاف بألقاب العلم: الحافظ، العلامة، البحاثة، الفهامة...

* **ومِن تواضعهم**: عدم تتبُّع عيوب الناس، والوقيعة في أعراضهم.

* **ومِن تواضعهم**: قَبُول الحق ممن جاء به أيًّا كان، وليس فقط

= (٦٣٦٥)، وابن أبي الدنيا في «التواضع» (١٢٥)، والحديث بمجموع طرقه يصل إلىٰ درجة الحسن لغيره -إن شاء الله-.

(١) «الدُّرَر العوالي في التواضع وذم التعالي» لأبي عبد الرحمن هاني بن محمد ابن إبراهيم (ص٦٦)، مكتبة السُّنَّة - القاهرة ١٤٢٥هـ.

www.alukah.net

من جماعته، أو من أهله، أو من ابن جلدته، أو ابن عمه، وهذا كله خلاف التواضع.

* **ومِن تواضعهم**: ترك الدعوىٰ لما لا يُحسنه، وترك الفخر بما يُحسنه.

* **ومِن تواضعهم**: أن لا يتّهم دليلًا من أدلّة الدّين بحيث يظنه فاسد الدلالة، أو ناقص الدّلالة، أو قاصرها، أو أنّ غيرها كان أولىٰ منه من أجل نصرة رأيه.

* **ومِن تواضعهم**: أن يُحيل إلىٰ غيره فيما لم يُحسنه أو يُتقنه.

* **ومِن تواضعهم**: الاعتراف بالفضل لصاحبه وإن كان مفضولًا.

وقد كتب أحد الحكماء أبياتًا في التواضع، وما أجملها:

وَلَا تَمْشِ فَوْقَ الْأَرْضِ إِلَّا مُتَوَاضِعًا
فَكَمْ تَحْتَهَا مِنْ قَوْمٍ هُمْ مِنْكَ أَرْفَعُ
فَإِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ وَخَيْرٍ وَنِعْمَةٍ
فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمْ مِنْكَ أَنْعَمُ[1].

(١) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» لابن حبان (ص٤١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقول أبي العباس الناشئ:

مَنْ تَحَلَّىٰ بِغَيْرِ مَا هُوَ فِيهِ ... عَابَ مَا فِي يَدَيْهِ مَا يَدَّعِيهِ
وَإِذَا حَاوَلَ الدَّعَاوَىٰ لِمَا فِيهِ ... أَضَافُوا إِلَيْهِ مَا لَيْسَ فِيهِ
وَيَحْسَبُ الَّذِي ادَّعَىٰ مَا عَدَاهُ ... أَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَعْتَرِيهِ
وَمَحَلُّ الْفَتَىٰ سَيَظْهَرُ فِي النَّاسِ ... وَإِنْ كَانَ ذَائِبًا يُخْفِيهِ[1]

ومن أعظم درجات التواضع: أن ترضىٰ أخًا بما رضي الحق به لنفسه عبدًا، وألا تردّ علىٰ عدوك حقًّا، وأن تقبل من المُعتذر معاذيره.

إذا كان الله قد رضي أخاك المسلم لنفسه عبدًا، أفلا ترضىٰ أنت به أخًا؟ فعدم رضاك به أخًا، وقد رضيه سيدك الذي أنت عبده عبدًا لنفسه؛ عين الكبر، وأي قبيح أقبح من كبر العبد علىٰ عبد مثله، لا

(١) «صحيح جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (ص١٨٣).

* **(فائدة عزيزة)**: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «الكعبة بيتٌ من حجارةٍ بوادٍ غيرِ ذي زرع، ليس عندها أحدٌ يحفظها من عدو، ولا عندها بساتين، وأمور يرغب الناس فيها؛ فليس عندها رغبة ولا رهبة، ومع هذا فقد حفظها الله بالهيبة والعظمة؛ فكل من يأتيها يأتيها خاضعًا ذليلًا، متواضعًا في غاية التواضع».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

يرضىٰ بأخوّته، وسيّده راضٍ بعبوديته؟

فالحاصل: أن المتكبِّرَ غيرُ راضٍ بعبوديّة سيِّده، إذ عبوديَّته توجب رضاه بأُخُوَّة عبده، وهذا شأن عبيد الملوك[1].

قلتُ: يا ليتنا توقَّفنا عند هذا النصِّ، وتأملناه طويلًا، لنرىٰ أين نحن من هذه الدرجة الرفيعة؟!

(١) مقتبس من كلام ابن قيم الجوزية في كتابه «مدارج السالكين»، انظر «تهذيبه» (ص٣٨٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

سَلَامَةُ الصَّدْر

إن العالِم الربّاني هو مَن كان قلبُه سَلِيمًا مِن كل ما يقطعه عن الله -عز وجلّ-، مثل: الهوىٰ والغِلّ، والحسد، والشُّحّ، والكِبْر، وحُبّ الدنيا، والشهوة، وسُوء الظن، وغير ذلك.

قال -تعالىٰ-: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الشعراء:٨٩].

وقال ابنُ القيم: «فهذا هو السليم من الآفات التي تعتري القلوب المريضة مِن مرض الشُّبهة التي تُوجب اتباع الظن، ومرض الشهوة التي تُوجب اتباع ما تهوىٰ الأنفُس، فالقلب السليم مَن سلِم من هذا وهذا» اهـ(١).

وسلامة الصدر مطلب شرعي لكل مسلم، وخاصة أهل العلم منهم(٢). قال الإمام الآجُرِّي-رَحِمَهُ ٱللَّهُ-وهو يعدّد أخلاق العالم الرباني أنه: «لا مُداهِن، ولا مُشاحِن، ولا مُخْتال، ولا حَسود، ولا حَقود، ولا سَفِيه، ولا جَافٍ، ولا فظّ، ولا غَليظ، ولا طَعَّان، ولا لَعَّان، ولا

(١) كتاب «الروح» لابن القيم (ص٢٢٠).

(٢) «الحث علىٰ سلامة الصدر» لعلي بن محمد بن سليمان الدهامي (ص١٥).

www.alukah.net

مُغتاب، ولا سبَّاب، يخالط من الإخوان مَن عاونه علىٰ طاعة ربه، وينهاه عما يكره مولاه، ويخالق بالجميل مَن لا يأمن شره إبقاءً علىٰ دينه، سليم القلب للعباد من الغلّ والحسد، يغلب علىٰ قلبه حُسن الظن بالمؤمنين في كل ما أمكن فيه العُذر، ولا يُحب زوال النعم عن أحد من العباد» اهـ(١).

وسلامة الصدر نعمة من النِّعم العظيمة التي توجب لصاحبها الجنة، حيث قال -تعالىٰ- عن أهل الجنة: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[الحِجر:٤٧].

ومن أعظم علامات سلامة الصدر إصلاح ذات البَيْن، إذ هو من لوازم التقوىٰ، ولهذا قرنه الله -سبحانه وتعالىٰ- بينهما في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[الأنفال:١].

﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[النساء:١١٤].

---

(١) «أخلاق العلماء» للآجري (ص٥٤).

www.alukah.net

بل إنه ﷺ جعل درجة إصلاح ذات البَيْن أفضل من درجة نوافل الصلاة والصيام والصدقة، فقال: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة**»، قالوا: بلىٰ. قال: «**إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ**»(١).

وإذا تأملنا المصائب والآثار التي تحل بسبب فساد ذات البين، ندرك سرّ قول النبي ﷺ: «**فساد ذات البَيْن الحالقة**»(٢). فهي تحلق الدين وتُذهبه، وقد لا يشعر المرء بذلك.

كَم مِن عالم مليء بالعلم شانته أخلاقه، وشانته تصرفاته، وشانه سَمْتُه ودله، لا يخاف الله في كلامه، ولا يراقب الله في منطقه، يتتبَّع عورات المسلمين، ويثلب عباد الله المتقين، فالحذر الحذر أن تَغتَرَّ من العالِم بكثرة علمِه، دون أن يكون عنده ورع يمسك بزمام لسانه عن أن يقول علىٰ الله ما لا علم له.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩)، وغيرهما بسند صحيح عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٠٩)، وأحمد في «مسنده» (٦/ ٤٤٤)، وابن حبان (٥٠٩٢) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وهو صحيح. انظر: «صحيح الأدب -المفرد-» للشيخ الألباني (٣٠٣/ ٣٩١).

www.alukah.net

ثم اعلمْ -رحمني الله وإياك- أنه لا يُمكن للإنسان أن يكون سليم الصدر علىٰ وجه يرضي الله به، إلا إذا كان مُتَّبِعًا لسُنَّة النبي ﷺ، ومنهج أصحابه في أمور الدين كلها، لا سيما في هذا الباب.

وذلك أن سلامة الصدر أصل في تأليف القلوب، وتأليف القلوب لا يكون إلا إذا كان علىٰ السُّنَّة ونهج الصحابة.

قال -تعالىٰ-: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[آل عمران:١٠٣].

وهذه الآية دليل أن الله -عز وجل- أرسل نبيه ﷺ في مجتمع غلبت عليه العداوة والبغضاء والشحناء، وجعل من مهمات رسالته تزكية النفوس وتربيتها، حيث جمع الله به قلوب العباد، وألّفها بينهم.

ولما أدىٰ النبي ﷺ هذه الأمانة كما أمره الله -سبحانه وتعالىٰ-، أكّد الله -عز وجل- في (سورة الأنفال) توقيفيةَ تأليف القلوب بقوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال:٦٣].

تأمل قوله: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ﴾ يعني: هو الله -تعالىٰ- الذي ألّف بين قلوبهم بواسطة نبيِّه الكريم ﷺ.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! أَلَمْ أَجِدْكُم ضُلاَّلًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وكُنْتُم مُتَفَرِّقين فألَّفَكُمُ اللهُ بِي**»(١).

(١) البخاري (٤٠٧٥)، ومسلم (١٠٦١) عن زيد بن عاصم رضي الله عنه.

www.alukah.net

الهِمَّةُ العَالِيَة

إنَّ الهمةَ العالية خصلةٌ شريفة، وخلّةٌ حميدة، وخُلُقٌ رفيع، وأدبٌ سامٍ، تتعشّقها القلوب الكرام، وتهوىٰ إلىٰ اكتسابها النفوس الأبطال.

والناس إنما تعلو أقدارُهم وترتفع منازلهم بحسب نصيبهم من علوّ الهمة وشرف المقصد، فمن عَلَت همته اتصف بكل جميل، ومن دَنَت همته اتصف بكلّ رَذيل.

والهمة العالية لا تزال بصاحبها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجره عن مواقف الذل والرذائل وحرمان الفضائل؛ حتىٰ ترفعه إلىٰ أعلىٰ مقامات المجد.

وإن مما يلاحظ علىٰ شيوخ وطلاب علم هذا الزمان دنوّ هممهم والرضا بالدون، والقعود عن معالي الأمور، والاشتغال بالسفاسف والمحقرات .

دنو الهمة مسلك دنيء، ومركَب وَطِيء، وخلق ساقط، وعمل مرذول، لا يليق بأهل الفضل، فكيف بأهل النبل والعقل؟!

داني الهمة لا قيمة له ولاقدر، لأنه ميّال لِدَعَة، مُؤْثِر للراحة،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُخْلِد للأرض، قاعد عن المكارم، كَلِفٌ بالصغائر، مولع بمحقرات الذنوب، هَمُّهُ خاصّةُ نفسِه، وفِكره محصور في مطعمه وملبسه، وقوت يومه وليلته.

❐ الهِمَّة العالية[١]:

وهي النية الصادقة، والعزمة الجازمة، والإرادة القوية الرفيعة، والرغبة الأكيدة في التحلي بالفضائل، والتخلي من الرذائل[٢].

فالعالم الرباني يتميز عن غيره من الناس بهمته العالية التي فوق النجوم التي لا تُرىٰ، والله يعلم وحده كَم هو مليء بالإرادات القوية، من أجل التقرُّب إلىٰ الله بالأعمال الزاكية الظاهرة والباطنة.

والمراد أن همة العالم الربّاني إذا تعلَّقت بالحق -تعالىٰ- طلبًا صادقًا خالصًا مَحْضًا فتلك هي الهمة العالية التي لا يتمالك صاحبها، أيْ لا يقدر علىٰ المُهْلَة، ولا يتمالك صبره لغلبة سلطانه عليه، وشدة إلزامها إياه بطلب المقصود، ولا يلتفت عنها إلىٰ ما سوىٰ أحكامها،

---

(١) راجِعْ -لِزامًا- كتاب «علو الهمة»

(٢) «الهمة العالية» لمحمد إبراهيم الحمد (ص١٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وصاحب هذه الهمة سريع وصوله وظفره بمطلوبه، ما لَمْ تَعُقْهُ العوائق، وتقطعه العلائق[(١)].

وأعلىٰ الهمم: همة اتصلت بالحق -سبحانه- طلبًا وقَصْدًا، وأوصلت الخلق إليه دعوة ونُصحًا، وهذه همة الرسل وأتباعهم، وصحتها بتمييزها من انقسام طلبها، وانقسام مطلوبها، وانقسام طريقها، بل توحد مطلوبها بالإخلاص وطلبها بالصدق، وطريقها بالسلوك خلف الدليل الذي نصبه الله دليلًا، لا من نصبه هو دليلًا لنفسه.

ولله دَرّ الهمم ما أعجب شأنها، وأشد تفاوتها، فَهِمَّةٌ متعلّقةٌ بمن فوق العرش، وهمة حائمة حول الأنتان والحش، والعامة تقول: قيمة كل امرِئٍ ما يُحسنه، والخاصة تقول: قيمة المرء ما يطلبه، وخاصة الخاصة تقول: همة المرء إلىٰ مطلوبه.

وإذا أردْتَ أن تعرِفَ مراتب الهمم: فانظر إلىٰ همة ربيعة بن كعب الأسلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقد قال له رسول الله ﷺ: «**سلني**»، فقال:

(١) «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٣/ ٣-٤) دار الكتاب العربي بيروت، ط الثانية:١٣٩٣هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

أسألك مرافقتك في الجنة[١].

وانظر إلىٰ همّة رسول الله ﷺ حين عُرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض، فأباها، ومعلوم أنه لو أخذها لأنفقها في طاعة ربه -تعالىٰ-، فأبت له تلك الهمة العالية أن يتعلق منها بشيء مما سوىٰ الله ومحابه، وعرض عليه أن يتصرف بالملك، فأباه واختار التصرف بالعبودية المحضة، فلا إله إلا الله خالق هذه الهِمَّة وخالق نفس تحملها، وخالق همم لا تعدو همم أخسّ الحيوانات[٢].

(١) أخرجه مسلم (٤٨٩)، وأبو داود (١٣٢٠)، والنسائي (١١٣٨)، وأحمد في «مُسندِه» (٤/ ٥٩).

(٢) «مدارج السالكين» (٣/ ١٤٧-١٤٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الإيثار

من أجمل الصفاتِ وأفضلِ السِّمات التي يتصف بها العالم الرباني، هي صفةُ الإيثار، ومعناه: تقديمُ الغَيْرِ علىٰ النَّفْس في الحُظُوظ الدنيوية؛ رغبةً في نيلِ رضا ربِّ البرية.

بهذا الخُلُق الرفيع لا يَتحلَّىٰ إلاَّ أَصْحابُ القلوبِ الكبيرةِ، والهِمَمِ العاليةِ، والعَزائمِ الثَّابتة، لَكنه يحتاج لِتحقِيقه إِلىٰ صَبْرٍ واحتمالٍ، وبذْلٍ وَكَرَمٍ عَلَىٰ أَيِّ حَالٍ.

فما أَعْظمَ أَنْ يُحِبَّ المرءُ لأَخيهِ مَا يُحِبُّ لنفسِهِ، وما أَجْملَ أَنْ يُشاركَهُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ، ويُواسِيَهُ بِمُستَطَاعِ مَالِهِ، والأعْظَمُ مِنْ ذلك أنْ يُؤثِرَ الإنسانُ غيرَهُ بالشّيءِ وهو أحْوَجُ ما يكونُ إليه، وأَنْ يَبْذُلَ له مِن ماله ووقتِهِ وجُهْدِهِ مَا لا يَبْذُلُهُ لِنَفْسِهِ التِي بَيْنَ جَنْبَيْهِ، والنَّبِيُّ ﷺ يقول: «**لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

ومفهوم الإيثار في الإسلام لا يقتصر علىٰ المؤاثرة في الأشياء المادية فقط، بل للإيثار درجات، وأعظمها: تقديم رضا الله -تعالىٰ-

(١) البخاري(١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

علىٰ هوىٰ النفس ورغباتها، وهذا هو إيثار الأنبياء والرسل، وورثتهم من العلماء الربانيِّين.

والله -تعالىٰ- يقول: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ .وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا .فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ .وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ .فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات:٣٧-٤١].

فقد سجّل التاريخ الإسلامي أروع الأمثلة وأصدق الشواهد والأدلة من حياة الصحابة رضي الله عنهم والسَّلف الصالح مِن بَعدِهم الذين زيّنوا صفحات حياتهم بأوسمة الإيثار، وقلّدوا أعناقهم بقلائد العزّ والفخار، وصاغوا صفحاتٍ مِلْؤُها الأخوة الصادقة، والمحبة الفائقة، فمِن تلك المواقف:

أن الله-تعالىٰ- عجب لصنيع بيت من الأنصار، حين آثروا ضيفهم بطعامهم، وباتوا جائعين؛ يبتغون بذلك وجه الله -والقصة معروفة-.

وكان الأشعريُّون زمن النبي ﷺ إذا فقدوا الطعام جَمعُوا ما بقي منه، وجعلوه في ثوب واحد، ثم اقتسموه فيما بينهم بالسويَّة.

ولما قَدِم المهاجرون المدينة، ناصفهم الأنصار أموالهم

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وآثروهم علىٰ أنفسهم، حتىٰ إن سعد بن الربيع الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عرض نصف ماله وإحدىٰ زوجتيه علىٰ عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليختار منهما أعجبهما إليه، فيطلِّقها ليتزوجها.

ولما طُعن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وشعر بالموت أحبَّ أن يُدفن مع صاحبيه في حجرة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فقالت: «كنت أريده لنفسي، فلأوثرنَّه اليوم علىٰ نفسي»[1]، فدُفن مع صاحبيه، ودُفنت هي بالبقيع مع باقي زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وإنّ من أعجب وأغرب ما يُنقل من مواقف إيثار الربانيِّين: أن الحجاج بن يوسف الثقفي -الظالم المعروف- طلب إبراهيم النخعي الفقيه ليؤذيه، فأحضروا له إبراهيم التيمي خطأً، فلم يشأ التيمي أن يفصح عن شخصيته إيثارًا للنخعي، حتىٰ أُخِذَ وعُذِّبَ ومات في السجن[2].

---

(١) «صحيح البخاري» (١٣٩).

(٢) انظر: «الطبقات الكبرىٰ» لابن سعد (٦/ ٢٨٥) دار صادر - بيروت، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (٣/ ٩٢)، دار المعرفة - بيروت، ط الثانية: ١٣٩٩هـ، و«هامش تهذيب الكمال» للمزي (٢/ ٢٣٣ - بشار).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن إيثار الربانيِّين: أن يعلموا أن الدنيا حقيرة، وأن الآخرة شريفة، وأنهما كالضرتين، فهم يؤثرون الآخرة، ولا تخالف أفعالهم أقوالهم، ويكون ميلهم إلىٰ العلم النافع فىٰ الآخرة، ويجتنبون الأمور التي يقل نفعها إيثارًا لما يعظم نفعه، فضلًا عما يُسبب فتنة وفسادًا.

فما أغلىٰ أهلَ الإيثار، في عصر قلَّ فيه أمثالهم، وندر أشباههم، كأنهم نجوم النهار، لا يُبصرها أحد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

عَدَمُ التَّلَوُّن في الدِّين

إنّ مِن الفتن العظيمة التي يُبتلىٰ بها المسلمون في هذا الزمان هي فتنة تلوّن كثير من الشيوخ والدعاة في دين الله -تعالىٰ-، حيث تراهم ما بين صباح ومساء يتغيرون، وينتقلون، ويتلوّنون في دين الله من السُّنَّة إلىٰ البدعة، ومن الالتزام إلىٰ الإهمال، ومن الثبات إلىٰ الهوان، ومن الهدىٰ إلىٰ الضلالة، بمجرد هوىٰ النفس أو شهوتها، وذلك: إما مِن أجل المصالح الشخصية، أو من أجل مصالح الجماعات والأحزاب الدينية أوالسياسية .

وإنْ دلّ هذا علىٰ شيء فإنما يدلّ علىٰ عدم تربية النفس وتزكيتها بالقرآن والسُّنَّة، وعدم الإخلاص والصدق مع الله ظاهرًا وباطنًا، إذ الصدق والإخلاص إذا تمكّنا في قلب العبد لا يهديانه إلا علىٰ مزيد من التثبت والهدىٰ.

ولذا كان نبيُّنا ﷺ يسأل الله -تعالىٰ- الثبات في الدين والعزيمة علىٰ الرشد، كما أنه ﷺ كان يدعو الله بـ: «**يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي علىٰ دينك**»[1]، ساجدًا يحذر التلوُّن في دين الله، ويرجو رحمة ربِّه بالثبات.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٧)، وابن ماجه (٣٨٣٤) وغيرهما عن أنس بن=

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجاء إليه سفيان بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقال: يا رسول الله!قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل أحدًا غيرك؟ قال: «**قُلْ آمنتُ بالله ثم اسْتَقِم**»(١).

وهذه الأحاديث أدلة صريحة علىٰ أن الله -تعالىٰ- لا يحب التلوّن في دينه، بل يحب التثبت ويُثيب علىٰ ذلك أجرًا عظيمًا.

وهذا دليل أيضًا أن الثبات علىٰ الإسلام توقيفي لا مجال للاجتهاد فيه، إذ لو كان غير ذلك لما أوحىٰ الله -تعالىٰ- علىٰ نبيه ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[هود:١١٢].

وعن ابن مهدي، قال: حدثنا هشيم، عن المغيرة، عن إبراهيم، قال: «كانوا يكرهون التلوّن في الدِّين»(٢).

وعن ربعي بن حراش قال: قال حذيفة عند الموت: «رُبّ أيام أتاني الموت لم أشك، فأما اليوم فقد خالطت أشياء لا أدري علىٰ ما

= مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصحَّح إسنادَه الشيخُ الألباني في «صحيح الترمذي».

(١) أخرجه مسلم (٣٧).

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٥٠٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٣٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

أنا منها، قال: وأوصىٰ أبا مسعود : عليك بما تعرف، ولا تلوّن في أمر الله»[١].

وفي رواية أخرىٰ: «عن خالد بن سعد مولىٰ أبي مسعود قال: دخل أبو مسعود علىٰ حذيفة وهو مريض، فأسنده إليه، فقال له أبو مسعود: أوصِنا، قال: إن الضلالة حق الضلالة أن تعرف ما كنت تُنْكر، وتُنْكِر ما كنت تعرف، وإياك والتلوّن في دين الله، فإن دين الله واحد»[٢].

ومن أسباب التلوّن في دين الله:

١- النفاق.

قال ابن القيم[٣]: «ومن صفاتهم-المنافقين- كثرة التلوّن وسرعة التقلب، وعدم الثبات علىٰ حال واحد، بينا تراه علىٰ حال تعجبك من

(١) اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ١١٠)، دار طيبة- الرياض (١٤٠٢هـ).

(٢) أخرجه البوصيري في «إتحاف الخيرة المهرة» رقم (٣٠٠٨) بسند صحيح.

(٣)في«طريق الهجرتين» (ص٦٠١) بتحقيق عمر بن محمود، دار ابن القيم- الدمام، ط-الثانية: ١٤١٤هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دين، أو عبادة، أو هدي صالح، أو صدق، إذا انقلب إلىٰ ضد ذلك، كأنه لم يعرف غيره، فهو أشد الناس تلوّنًا وتَقَلُّبًا وتَنَقُّلًا، جيفة بالليل، قطرب بالنهار».

٢- عدم الرِّضا بالله:

قال ابن القيم [(١)]: «ومن ثَمَرَاتِ الرِّضَا:

الثامن عشر: أن السخط يُوجب تلوُّن العبد، وعدم ثباته مع الله، فإنه لا يَرضا إلا بما يلائم طبعه ونفسه، والمقادير تجري دائمًا بما يلائمه، وبما لا يلائمه، وكلما جرىٰ عليه منها ما لا يلائمه؛ أسخطه، فلا تثبت له قدم علىٰ العبودية، فإذا رضي عن ربه في جميع الحالات؛ استقرَّتْ قدمُه في مقام العبودية، فلا يزيل التلوُّن عن العبد شيء مثل الرِّضا».

٣- المعتقد الباطل:

قَالَ أَبُو الْوَفَاءِ ابْنُ عَقِيلٍ فِي «الْفُنُونِ» : «مَنْ صَدَرَ اعْتِقَادُهُ عَنْ بُرْهَانٍ لَمْ يَبْقَ عِنْدَهُ تَلَوُّنٌ يُرَاعِي بِهِ أَحْوَالَ الرِّجَالِ .

(١)في «مدارج السالكين» (٢/ ٢٠٧) ط دار الكتاب العربي-بيروت ١٣٩٣هـ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾[آل عمران:١٤٤].

كَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِمَّنْ يَثْبُتُ عَلَىٰ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ، فَلَمْ تَتَقَلَّبْ بِهِ الْأَحْوَالُ فِي كُلِّ مَقَامٍ زَلَّتْ بِهِ الْأَقْدَامُ ....»[(١)].

وقال العلامة الشيخ عبد المحسن العباد -حفظه الله- في «التحفة السنية شرح منظومة ابن أبي داود الحائية»: «المعتقد الصحيح يورث السلامة والخير في كل حال، ويثمر العواقب الحميدة والخير المستمر وحسن المآل، ويدعو إلىٰ الطاعات الصالحة، والأخلاق الحميدة، والآداب الكريمة، وخير الأعمال .

وفي هذا -أيضًا- دعوة إلىٰ الثبات علىٰ هذا المعتقد الحق، والحذر من التلوُّن والتنقُّل، كما هو الحال عند أهل الأهواء».

٤- الخصومات في الدِّين:

عن يحيىٰ بن سعيد، قال: قال عمر بن عبد العزيز: «مَن جعل دينه عَرَضًا للخصومات أكثر التنقُّل»[(٢)] يعني: التلوّن.

---

(١) «الآداب الشرعية والمنح المرعية» لابن مفلح المقدسي (١/ ٢٨٤) دار الإمام أحمد - القاهرة، ط الأولىٰ:١٤٢٧هـ.

(٢) رواه عبد الله في «السُّنَّة» (١/ ١٣٨)، والدارمي في «السنن» (١/ ١٠٢-١٠٣)=

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- إخفاء الحق وتلبيسه بالباطل:

عن ابن المبارك، عن عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، أن عمر ابن عبد العزيز قال: إذا رأيت قومًا يتناجون في دينهم دون العامة فاعلم أنهم علىٰ تأسيس ضلالة»[(١)].

٦- اتباع الهوىٰ:

قال ابن القيم في «الفوائد»[(٢)]: «ومن فاته التحقيق بهذين العِلْمين[(٣)] تلوّنت به أقواله، وأعماله، وأحواله، وتخبطت عليه، ولم يهتد إلىٰ الصراط المستقيم الموصل له إلىٰ الله؛ فإيصال العبد بتحقيق هاتين المعرفتين علمًا وحالًا، وانقطاعه بفواتهما...».

= والترمذي في «جامعه» (١/ ١٠٢)، والآجري في «الشريعة» (ص٦٦)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١/ ١٢٨).

(١) رواه الدارمي في «السُّنن» (١/ ١٠٣)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (١/ ١٣٥).

(٢) (ص١٣٩) ط دار الكتب العلمية-بيروت ١٣٩٣هـ.

(٣) يعني: عِلم العبد بالله، وعلمه بقدر نفسه؛ حيث إن هذين العلمين يمنعان صاحبه عن اتباع الهوىٰ، والله أعلم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ورحم الله القائل:

وإذا الفَتَىٰ حَجَبَ الهَوَىٰ عَن عَقْلِه
رَشَـدَ الفَتَىٰ وَصَفَا مِـن الأَوْحَـالِ
وإذا الفَـتَىٰ لَـزِمَ التَّلَوُّنَ لَـمْ يَـجِدْ
أَبَدًا لَهُ، في الوَصْلِ طـعمَ وِصَـالِ
وَإِذَا تَـوَازَنَـتِ الأُمُـورِ لِفَضْـلِـهَا
فَالدِّيـنُ مِـنْهَا أَرْجَـحُ المِثْـقَالِ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

هذا؛ وأسأل الله العظيم أن يجعلنا من عباده الربانيِّين، إنه سميع قريب مجيب الدعاء للمتضرعين.

وصلىٰ الله علىٰ نبيِّنا محمدٍ، وعلىٰ آله وصحبه -أجمعين-.

والحمد لله رب العالمين.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس الموضوعات

الموضـــــوع	الصفحة
تقديم فضيلة الشيخ/ حسين بن عوده العوايشة	أ
المقدمة	٥
تعريف (الرَّبَّانِيَّة) من حيث اشتقاقها وأصلها اللّغوي	١٥
الآيات القرآنية الواردة في الرّبَّانِيِّين وأوصافهم	١٨
مَن العالم الرباني؟	٢٠
المراتب التي يجب أن تتوفر عند العالم الرباني	٢٤
صفات العلماء الرَّبَّانِيِّين	٢٥
الوَرَعُ	٣٠
الصِّدْقُ	٤٥
الزُّهْدُ	٥٣
البَصِيرَةُ	٥٥
الحِكْمَة	٥٧
الاِعْتِدَالُ	٦١
الأَمَانَةُ	٦٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الموضـــــوع	الصفحة

الحِلْمُ ٧٠
التَّوَاضُعُ ٧٢
سَلاَمَةُ الصَّدْر ٧٧
الهِمَّةُ العَالِيَة ٨٢
الإيثار ٨٦
عَدَمُ التَّلَوُّن في الدِّين ٩٠
الخاتمة ٩٧
فهرس الموضوعات ٩٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب